

حقيقة الوجود في اليوم الموعود

دراسة علمية وعقلية في النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بما سيكون عليه الانسان يوم القيامة من حشر وحساب وجنة ونار

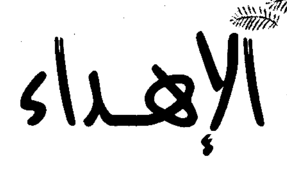
تأليف
طلال عبد آل اذبيّة

حقيقـة الـوجـود في الـيــوم المـوعــود

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٣٠٨ لسنة ٢٠٠٢

طبع في شركة الخنساء للطباعة المحدودة — بغداد — خلف وزارة الصناعة والمعادن
هاتف ٨١٨٦٣٢٨ تيلفاكس ٨١٨٤٨٠٧

طبع بموافقة وزارة الاعلام المرقمة ٩٦٢ في ٤ / ٧ / ٢٠٠٢



بسم الله الرحمن الرحيم

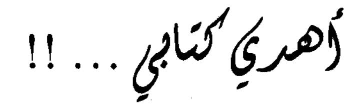
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

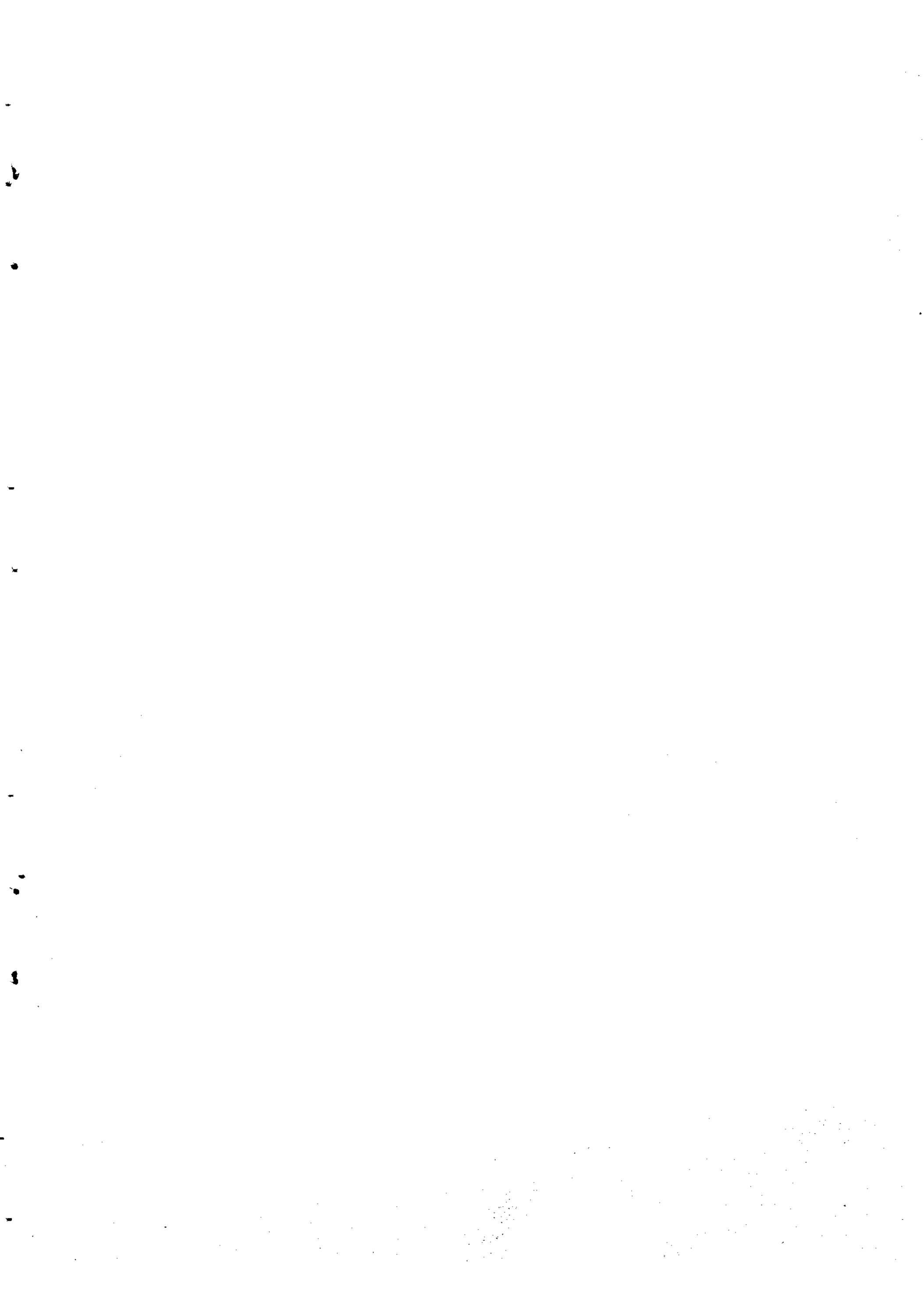
{سورة ق : ٣٧}

إلى كل من أخلص دينه لله تعالى ،

وهتف من الأعماق بإخلاص سمعنا وأطعنا

غفرانك ربنا وإليك المصير





المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد ﷺ خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين، قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ، إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ {البقرة: ١٥٩-١٦٠}

وقال رسول الله ﷺ:

((من سئل عن علمٍ فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)) {رواه ابو داؤد وابن ماجه}

ان الذي دفعني الى كتابة هذه الرسالة هيَ الآيات اعلاه من سورة البقرة، وحديث رسول الله ﷺ ، وانه لمن فضل الله عز وجل ونعمته عليَّ ان أجمع المشاهد القرآنية المتكررة للموضوع الواحد والتي يفسِّر بعضها بعضاً ويؤيد بعضها بعضاً، وقد رأيت الكثير من الناس ممن هم في غفلة عمَّا ينتظرهم من اهوال يوم القيامة والتي هي فوق طاقة العقل ، وانهم سيعاينون اموراً رهيبة يصعب على المداد وصفها..

واني اذ استشهد بالادلة القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة لابيّن ما وفقني اليه الله عز وجل من مشاهد يوم القيامة بدءً من ساحة العرض ، مروراً بالحساب والموازين والاستعراضات وعبور الصراط والجنَّة ووصفها ووصف أهلها والنار وصفة أهلها، وكذلك الأرض وشكلها والحوار بين أصحاب الجنَّة وأصحاب النار، والحوار بين أصحاب النار والخزنة ، والحوار مع مالك خازن النار ، وانعدام الزمن عن الأموات ، وحمل الأوزار وكيفيَّة حملها ، والتلاعن بين أصحاب النار فيما بينهم ، ومع الشيطان كما أحاول أن أبين ألاعيب الشيطان ومخططاته في الحياة الدنيا آملا أن أعيد التائهين إلى ركب الهدى والإيمان ومعرفة العدو الأول منذ الخلق الأول للإنسان .

وإني لأرجو أن يكون عملي هذا خالصاً لوجه ربي الكريم ، وأن يفرغ علينا صبراً ويتوفنا مسلمين.

والحمد لله ربّ العالمين

طلال عبد آل اذبيَّة

الموصل في ٢٦/ ربيع الأول /١٤٢١ هـ

٢٨ / حزيران / ٢٠٠٠ م

الامتحان

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ {الملك: ١-٢}

إنَّ حقيقة وجود البشر على الأرض على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومللهم ونحلهم هم في امتحان، والأرض هي قاعة الامتحان، ولكل ممتحن منهجاً يمتحن فيه، ومنهج البشرية منذ بعثة الرسول محمد ﷺ هو الإسلام.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ {آل عمران: ٨٥}

وانَّ محمداً رحمة العالمين ورسول الله إلى الناس أجمعين.

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ {الأعراف: ١٥٨}

والناس جميعاً ستسأل يوم القيامة عن الذكر.. أي الإسلام، ويحاسبون على أساس الإسلام.

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ {الزخرف: ٤٤}

سوف نُسئل عن الإسلام يوم القيامة، وسيكون الحساب على هذا الأساسَ أي على أساس شرع الله، وعلى الناس أن يفهموا ما

شرع الله، لأنّ الله تعالى أمر عبـاده أن يفـهموا شـرعه، ولـهذا سيحاسب كل من كذّب بدينه ولم يحط به علماً.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ {النمل:٨٣-٨٥}

إن الله تعالى سيحاسب الذين يكذّبون بآياته ولم يحيطوا بها علماً لأن العلم بما شرع الله تعالى فرض على الجميع وبحسب المقـدرة، لذلك يقول انس بن مالك ان رسول الله ﷺ قال: ***((طلب العلم فريضة على كل مسلم، وان طالب العلم يستغفر له كل شيء، حتى الحيتان في البحر))*** رواه ابن عبد البر في (العلم).

فالقرآن انزل بِعلم الله، فبقدر ما نفقه الشرع ونعمل بـه علـى أساس ما علمنا، بقدر ما نكون قريبين من الحق الذي أمرنا الله بـه، ونكون قد أخذنا حظاً وافراً من علم الله. يقول الله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ {هود:١٣-١٤}

فالقرآن أنزل بعلم الله وقد أكد الله عزّ وجل هذه الحقيقـة فـي آيات من كتابه الكريم:

﴿ لَّـٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ {النساء: ١٦٦}

أما الذين فقهوا ما شرع الله وعملوا بما جاء في كتابه مخلصين فقد فازوا وربحوا.

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ {العنكبوت: ٤٩}

والقرآن بيان للناس، وليس فيه آيات غامضة ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ وهذا ما أكده الله عز وجل فلا عذر لأحد والكل محاسب على هذا....! عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلّا كان من أصحاب النار)) {رواه: مسلم}

فالناس محاسبون يوم القيامة على أتباع ما شرع الله تعالى وما ارتضاه للناس جميعاً.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ {آل عمران: ٨٥}

ويوم القيامة يكون توزيع نتائج الامتحان للإنس والجن معاً. يقول الباري عزَّ وجل في حديث قدسي ***((يا عبادي إنما هي***

أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلاّ نفسه)) {رواه مسلم}

فمن وجد خيراً في صحيفته فليحمد الله تعالى، لأنَّ الله هداه إلى هذا الخير وقد أكّدَ القرآن الكريم هذا بقول الله عزّ وجل:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

{الأعراف: ٤٣}

يوم القيامة فيه توزع الصحف، وتعلن الدرجات والنتائج، فالمتقون وهم الناجحون يستلمون النتيجة باليمين، أما الضالّون وهم الفاشلون فإنهم يستلمون النتيجة بالشمال. وقد جاء هذا الوصف في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ {الحاقة: ١٩-٢٧}

اصحاب اليمين فرحون ومستبشرون، واصحاب الشمال في الحسرات والآهات وإنه ليوم لا ينفع فيه ندم. ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ {الشورى: ٧}

هذه الدنيا دار ضيافة وليست دار إقامة، ما هي إلاّ متاع قليل. أما الآخرة فهي دار الخلود والبقاء... إما خلود في الجنة ونعيمها، أو عذاب في النار أو خلود فيها، فالحياة الدنيا لمن عرف الحقيقة لا تساوي شيئاً، وهي وسيلة وليست غاية، إنها وسيلة للوصول إلى حياة الخلود، إما في الجنة أو في الجحيم.

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ {النساء: ٧٧}

الدنيا عند الصالحين العارفين ما هي الاّ ممر يؤدي إلى المستقر الدائم وهو الآخرة. والدنيا عند الله تعالى لا تساوي شيئاً. يقول الرسول ﷺ: ((***لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء***)) {أخرجه الترمذي وابن ماجه عن سهل بن سعد}

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ وصحابته خير مثال على عدم ركونهم إلى الحياة الدنيا، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول:

((***دخلت على رسول الله ﷺ وقد نام على رمال حصير وقد أثّر بجنبه فقلت يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً نجعله بينك وبين الحصير يقيك منه. قال مالي وللدنيا، ما أنا والدنيا ألا كراكب استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها***)) {أخرجه الترمذي واحمد وابن ماجه}

علمنا إن الدنيا هي الممر المؤدي إلى المستقر الدائم، ولما كانت الآخرة هي المستقر الدائم، لذا عمل الصالحون بكلّ جد في طاعة الله عزّ جل لأنه تعالى أمرهم بسلوك طريق الحق. ومن يُطع الله في دنياه ويخاف مقام ربه فهو من الآمنين يوم القيامة، وبعكسه العاصي الذي اطمأنّ إلى الدنيا فإنه في ذلك اليوم من الخائفين.

يقول رسول اللهﷺ فيما يرويه عن ربِّه: ((***لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين، فمن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة، ومن أمنني في الدنيا اخفته في الآخرة***)) {رواه البزار عن ابي هريرة}

وقد أكدَّ القرآن الكريم حالة الأمن التي تصيب المؤمنين يوم القيامة فيقول الله عز وجل: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ {الأنبياء: ١٠٣}

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ {فصلت: ٣٠}

إذن الخوف حالة ملازمة للإنسان في يوم القيامة.. الكل خائف.. الكل في حالة هلع.. وكيف لا يخاف الناس وإعلان النتائج بات وشيكاً. حتى المؤمن قبل إن ينال درجاته فإنه في حالة خوف، فكيف لا يخاف من ربه في ذلك المشهد وهو الذي كان خائفاً وجلاً في حياته الدنيا، ولكن هذا الخوف سرعان ما ينقلب إلى حالة أمن وسلام بفضل الرحمن الرحيم، ويُصيب الهلع والخوف الخطاة

المذنبين، ولكن هل ينفع الندم من غادر قاعة الامتحان وقد سلّم أوراقه الامتحانية دون أية إجابة صحيحة ؟ عندها لا ينفع من قال ربِّ ارجعونِ.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ {المؤمنون: ٩٩-١٠٠}

المؤمنون في ذلك اليوم في أمن وأمان دائمين، وأولياؤهم الملائكة في الآخرة كما كانوا في الدنيا.

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ {فصلت: ٣١-٣٢}

ذات الملائكة أولياء الدنيا هم أولياء الآخرة، هم المرافقون الذين يرافقون المؤمنين حتى دخول الجنة، وبين الحين والحين يدخلون عليهم من كل باب يسلّمون.

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ {الرعد: ٢٣-٢٤}

انعدام الزمن

إذا أخذنا اللقطات بالنسبة لعمر الإنسان فإن عمر الدنيا سيكون بعمر ذلك الإنسان الذي شعر بوجوده في الحياة، أو لحظة خروجه إلى الدنيا من رحم والدته. فعمر الدنيا هي بعمري أنا، وعمر الدنيا هو بعمر كل إنسان دخل إليها وخرج منها، بتعبير آخر فإن عمر الدنيا للإنسان يبدأ بلحظة الولادة وينتهي بلحظة الممات..

والإنسان لم يكن شيئاً مذكوراً قبل وجوده في الحياة الماديَّة الدنيوية، والمدة التي مرَّت عليه منذ أخذ الله عليه (الميثاق) وحتى مجيئه إلى الحياة الدنيا لم يشعر بالزمن الذي مرَّ عليه وهو في حياة الروح.

إنَّ الله عزَّ وجل خلق الأرواح جميعاً، وأول روح نفخها في الجسد المادي هي روح آدم عليه السلام.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ ﴾

{الأعراف: ١١}

أنظر الترتيب القرآني الجميل، الخلق أولاً ثم التصوير ثانياً ثم سجود الملائكة ثالثاً. يقول مجاهد إنَّ الله خلقنا في ظهر آدم ثم صورنا حين أخذ علينا الميثاق ثم كان السجود.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ {الأعراف: ١٧٢}

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ ***((إن الله اخذ الميثاق من ظهر آدم بـ نعمان يوم عرفة، واخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً قال:*** ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ***))***

{الاعراف: ١٧٢ - ١٧٣} {الحديث رواه احمد والنسائي والحاكم}

وهذا يدلُ على أن الله خلق الأرواح ثم صورها، فلكل روح صورة خاصة بها تختلف عن غيرها من الأرواح. ويؤيد هذا الرأي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ***((الأرواح جنودٌ مجنَّدة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف))***

{رواه البخاري}

ومن هذا الحديث الشريف نستدل بأن الأرواح ذات أشكال مختلفة، فكيف إذن تتعارف الأرواح إذا كانت في شكل واحد ؟ إذن لكل روح شكل أو صورة خاصة بها وهذه الأشكال أو الصور هي أشكال اثيريَّة غير ماديَّة. نعود ونقول إن عمر الإنسان هو ببقائه في الدنيا وشعوره بالحياة والزمن، وعمر الدنيا يكون بعمره فقط، وعندما يُتوفى الإنسان (يتوفاه الله عزَّ وجل) ينعدم الزمن بموت الإنسان إلى قيام الساعة. والمدة ما بين الوفاة ولحين قيام الساعة هي ساعة واحدة، فالزمن ينعدم في حياة البرزخ، ولو حسبنا

الزمن منذ خلق آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة فإنه زمن طويل، وحسابه سيكون بآلاف السنين أو الملايين، فالذي توفاه الله تعالى في زمن آدم سوف لن يشعر بالزمن في حياة البرزخ أكثر من ساعة واحدة هي الزمن الكلي بين مماته وحتى بعثه مجدداً يوم القيامة، والبشر جميعا راحلون عن هذه الدنيا، وعند رحيلهم، أي موتهم في الدنيا سينعدم عندهم الزمن ولن يشعروا بالسنين التي تمر عليهم إلى يوم القيامة إلاّ كساعة من نهار.

يقول الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ {آل عمران: ١٨٥}

وعندما يموت الإنسان ويدفن في قبره فما هو إلاّ زائر للقبر، والزائر يعني أنه غير ماكث فيه وأنه لا يلبث الاّ قليلاً عند زيارته...

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ {التكاثر: ١-٢}

وردت هنا كلمة (زرتم) والزيارة تعني محدودية الزمن والمكوث. وساكن القبر يعتبر زائراً لا يعي الزمن، وأن الأموات جميعاً تشعر يوم القيامة بعد بعثها من قبورها بقلّة لبوثها في القبر...

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ {البقرة: ٢٥٩}

من هذا النص القرآني يتبيَّن لنا أن هذا الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه وسأله كم لبثت فأجاب يوماً أو بعض يوم أي جزء من اليوم، في حين إن مكوثه كان مائة عام. ويقول الله عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ {الكهف:١٩}

لقد لبث أهل الكهف ثلاثة اضعاف الزمن الذي لبثه (العزير) الذي أماته الله مائة عام. وكان شعورهم بعدما أيقظهم الله ((بعد ثلاثمائة عام)) هو ذات شعور (العزير) الذي مات مائة عام. فأصبح الزمن لصاحب المئة عام ولأصحاب الثلاثمائة عام زمناً واحداً بلا زيادة أو نقصان ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾. ويوم القيامة يسأل الله عزَّ وجل الخلائق جميعاً عن مدة لبوثهم في الأرض فيقولون جميعاً: يوماً أو بعض يوم ! !

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ {١١٢} قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ {١١٣} قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ {المؤمنون: ١١٢-١١٤}

إن الله عز وجل يسأل الأولين والآخرين يوم القيامة عن المدة التي لبثوا فيها في قبورهم فيقول لهم: كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ سيقولون لبثنا يوماً أو بعض يوم. فالذي لبث مائة عام، والذي لبث ثلاثمائة عام، والذي لبث آلاف السنين، كلهم شعروا شعوراً واحداً ومدة واحدة... يوما أو بعض يوم.. وهذا دليل على عدم شعور الأموات بالزمن. هذه لقطة أولى وسنحاول إظهار لقطة

أخرى. يقول الله عز وجـل: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ {يونس: ٤٥}

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ ﴾ {الأحقاف:٣٥}

الآيتان الكريمتان من سورة يونس وسورة الأحقاف تؤكدان لنا فقدان الزمن وعدم شعور الموتى به، كما تؤكدان على ان الموتى الأولين والآخرين سيشعرون ذات الشعور ويحسبون ذات الحساب ويعتقدون ذات الاعتقاد وهو ﴿سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾. ولو أمعنا النظر في الآيات السابقة التي تخص (العزير وأهل والكهف) لوجدنا ان الله عز وجل يسأل عن المدة التي لبثوا فيها في قبورهم أو منامهم، وجواب هؤلاء جميعاً جواباً واحداً على ألسنتهم هو ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وبعض اليوم هو جزؤه، والساعة أيضا هي جزء من اليوم أو أنها أحدى أجزاء اليوم..

في ذات الوقت نجد في الآيات الأخرى من سورة يونس والأحقاف ان الله عز وجل هو الذي يعطينا المدة الصحيحة للمكوث في القبور. فيقول سبحانه وتعالى ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾. والساعة من النهار تعبير الخالق العظيم، ويوماً أو بعض اليوم هو تعبير الإنسان ذاته، ولا فرق بين التعبيرين إذ أنّ (بعض اليوم) هو ذاته (ساعة من نهار) وهذا جمال الوصف والتعبير والإعجاز القرآني.

يقول الله عز وجل: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾. {الروم: ٥٥}

هنا يتحقق المعنى كاملاً... فالمكوث في القبر لم يدم في نظر المجرمين وغيرهم إلاّ ساعة واحدة لا أكثر ولا أقل... !

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ، إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ، إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ، كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ {النازعات: ٤٢-٤٦}

العشية تعني أول الليل، أي ما بين المغرب والعشاء وهذا الوقت ليس أكثر من ساعة.. والضحى اول النهار بقدر ارتفاع الشمس قدر ميل، وهي ايضاً تقدر بساعة من ساعات النهار. اذن الآيات القرانية تدعم بعضها بعضاً، وتفسر بعضها بعضاً.. والمعنى الثابت هو ساعة لاغير.. وبعد هذا الموجز البسيط هل تدرك اخي القارئ انك لن تلبث في قبرك غير ساعة واحدة حتى تستيقظ بعدها وانت بين يدي ربك العظيم.. قلة اللبوث في القبر ادركه الصحابة الكرام. فهذا بلال الحبشي رضي الله عنه عندما حضرته الوفاة اغمي عليه من شدة المرض، فأخذت زوجته تبكي وتقول وامصيبتاه، يا بلال وامصيبتاه، وعندما افاق قال لها لمَ تقولي وامصيبتاه قالت حسبت انك مت، قال اذا توفاني الله لاتقولي وامصيبتاه، ولكن قولي وافرحتاه غداً نلقى الاحبة محمداً وصحبه. هكذا ادرك الصحابة الكرام قلة اللبوث في القبر والاستعداد للقاء الله تعالى..

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ {الإسراء: ٥٢}

الصفــوف وعـــدم الكـــلام

في يوم القيامة منظر رهيب، ترى في ساحة الحساب مليـــارات من الناس، الكل في اصطفاف منسّق ومنظم، سكون، هــدوء، فـــي حضرة الملك الديّان..! الملائكة صفوف منتظمة:

﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ {النبأ: ٣٨} ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ {الفجر: ٢٢}

والأنبياء والمرسلون في جمع ونسق وصفوف منتظمة:

﴿ يوم يجمع الله الرسل ﴾ {المائدة: ١٠٩}

والناس في سكوت مطبق، والكل في حالة من الرهبة بانتظـــار الرب العظيم: ﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾ {هود: ١٠٥}

وممنوع على الخلائق أي كلام او أي نطق ينطقون به، وحتـــى الاعتذار ممنوع. ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ، وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ {المرسلات: ٣٥-٣٦}

اصحاب اليمين الفائزون في صفوف منتظمة، يقـــول رســـول الله ﷺ: ***((اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها مـــن هـــذه الامة وأربعون من سائر الأمم)).***

{رواه احمد وابن ماجه والدارمي والترمذي وحسنه عن بريدة}

أما اصحاب الشمال وهم الخائبون المجرمون فأنهم في صفوف أخرى يتميزون بها وتتميَّز بأشكالها عن صفوف المؤمنين.

﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ {يس: ٥٩}

إذن في يوم القيامة لا ترى إلاَّ النظام الدقيق.. الكل من الملائكة والرسل والأنبياء وبني البشر، وحتى الجان، الكل في اصطفاف منظم وسكون رهيب.

الاستعراضات

في يوم القيامة وعندما يحشر الناس ستكون استعراضات رهيبة، وقد سمَّاها الخالق العظيم بالعروض. فهذا استعراض الكفار يوم القيامة وهو أحد الاستعراضات يقول الله عز وجل في كتابة العزيز:

﴿ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ، وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ، وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ

مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ }الكهف: ٤٧-٤٩}

استعراض آلاف مؤلفة، بل مليارات من البشر في استعراض رهيب. (ويوم نسيَّر الجبال) وقد جاء هذا المعنى في كتاب الله تعالى بمعنى نسف الجبال، ويسيرها أي يجعلها سراباً وهباءً. يقول تعالى: ﴿ وإذا الجبال نُسِفتْ ﴾ {المرسلات: ١٠}

ويقول تعالى: ﴿ وسُيِّرتْ الجبالُ فكانتْ سَراباً ﴾ {النبأ: ٢٠}

﴿ وحَشرناهُم فَلمْ نُغادرْ مِنهمْ أحداً ﴾. بمعنى لن ينجو أحد من حساب الله ﴿ لقد أحصاهم وعدّهم عداً ﴾ {مريم: ٩٤}

بمعنى ان هناك عملية إحصاء وعدّ دقيقين، فليس هناك أحد مفقود أو تائه أو منسي ﴿وعرضوا على ربك صفاً﴾ أي أن الكافرين سيعرضون على الله عز وجل بشكل صفوف ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرَّة ﴾. أي حفاة عراة. عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول:((***يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً. قلت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض*** ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾)){رواه البخاري ومسلم واحمد}

﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾، إنهم نكروا يوم القيامة، ومن ينكر يوم القيامة يعدُّ كافراً ولا تنفعه شفاعة الشافعين.

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾. أي أنهم استلموا الكتاب، استلموا كتبهم بشمالهم وجاءهم أمر الله: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾. بمعنى وجدوا كل أعمالهم في هذا الكتاب، وأنَّ هذا الكتاب، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من عظائم الكفر والإلحاد إلاَّ مسطوراً فيه، وقد نشر أمامهم فلا تسمع إلاَّ ياويلتاه، واحسرتاه، يا أسفاه ولا ينفع الندم..

ننتقل إلى استعراض آخر في كتاب الله عز وجل: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ، وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ {الكهف: ١٠٠}

إن هذا العرض لجهنم مذكور في آيات أُخر من القرآن الكريم.

﴿ وجيء يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ {الفجر: ٢٣}

أي جاء بها الملائكة بالسلاسل سحباً. ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ، إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ {الفرقان: ١١-١٢}

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: ***((يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إني وكلت بثلاثة بمن دعا مع الله إلهاً أخر وبكل جبار عنيد وبالمصورين))*** {أخرجه الترمذي}

﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾. أي من مسيرة بعيدة جداً قيل إنها مسيرة خمسمائة عام.

﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾. أي إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ. عن احد اصحاب رسول الله ﷺ قال: ***((من يقل عليَّ مالم اقل فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً))***. قيل يا رسول الله وهل لها من عين؟ قال أما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾{الفرقان: ١٢}

{رواه ابن جرير في تفسيره وابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير}

يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول وكلتُ بكل من جعل مع الله إلهاً آخر فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه.. تفسير القرطبي ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ وكلمة عرضنا تعني الاستعراض. يقول الرسول ﷺ: ***((يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها))***. {رواه مسلم والترمذي عن ابن مسعود}

والزمام: الحلقة التي فيها السلاسل، فجهنم فيها سبعون ألف زمام، وكل زمام يسحبُه سبعون ألف ملك: ٧٠٠٠٠ × ٧٠٠٠٠ = ٤٩٠٠٠٠٠٠٠٠ أربعة مليارات وتسعمائة مليون ملك يسحبون جهنم، ويؤتى بها وتوضع في واديها، وجهنم هذه دركات، أي نزول نحو الأسفل بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ {النساء: ١٤٥}

القرآن وعلم الفلك

إن القرآن الكريم سبق الحقائق العلمية الحديثة بإعطاء الصورة الواضحة عن الكون منذ بدء الخلق وحتى نهايته.

يقول الله عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ {الأنبياء: ٣٠}

الرتق: يعني الكتلة الواحدة. قال أبن عباس والحسن وعطاء والضحاك وقتادة: الرتق: يعني إنها كانت شيئاً واحداً، أي كتلة واحدة ففصل الله بينهما أي بين السماء والأرض (تفسير القرطبي).

اما الحقائق العلمية التي توصل إليها علماء الفلك الحاليون وبعد المراقبة المضنية والطويلة، يقول أحدهم وهو العالم الفلكي الهولندي

جورج لودتير (١٨٩٤-١٩٦٦م): (إنّ الكون كان في الماضي السحيق عبارة عن كتلة واحدة متجمعة وأطلق عليها الذرّة البدائية)

الصيغة الحالية لهذه النظرية تقول بأنّ الكون قد ولد وتوسع نتيجة لانفجار كبير جداً في الذرة البدائية. أو الحساء الكوني الذري كان يحتوي على مجموع المادة والطاقة، وفي اللحظات الأولى من هذا الانفجار المروّع عندما ارتفعت درجة الحرارة إلى عدَّة تريليونات خلقت أجزاء الذرات التي يتألف عالمنا الحالي منها، ومن هذه الأجزاء تألفت الذرات، ومن هذه الذرات تألفت سحب الغازات والغبار، ومن هذه السحب تألفت المجرات[1].

وفي هذا الكشف الفلكي يقول الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ {الأنبياء: ٣٠}

وتأكيداً للحقائق العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم يقول علماء الفلك: عندما تكوَّنت نجوم هذه المجرات وكواكبها وبنيت من غازات دقيقة في الفضاء الكوني كانت ذراتها تتجاذب فيما بينها حسب قرب بعضها من بعض فأتلف وتكوَّن من هذا التجاذب جرم وأجرام ومجرات.

(١) الأنفحار الكبير. تأليف أميد شمشك

القرآن الكريم سبق الحقيقة العلمية التي تقول بالإشارة إلى الغاز الذي بدأت به عملية البناء لهذه الأجرام والمجرات فيقول الله عزّوجل:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ {فصلت: ١١}

إن الآية الكريمة تشير بكلِّ صراحة إلى حقيقة كون السماء وهي دخان، ودخان تعني الغاز أو الغازات... إذن كانت السماء دخاناً قبل أن تكون سماءٍ بل ان الكون كله كان دخاناً بحسب الآية القرآنية أعلاه.

يضيف العلماء فيقولون: إن عناقيد المجرات تتباعد فيما بينها أكثر وأكثر، فلا بد أنها كانت في وقت متقاربة من بعضها، وهذا يوصلنا إلى استنتاج إنه لا بَّد أنها كانت في وقت ما من الماضي (من أن الطاقة والمادة في الكون) كانت مكتظة ومتجمعة في حالة كثيفة جداً، ومن خلال معرفتنا لسرعة تمدد الكون نستطيع الرجوع إلى الماضي وإلى اللحظة التي كان فيها الكون ذي كثافة لا نهاية ويقدر الزمن الذي يفصلنا عن هذه اللحظة بحوالي (٢٠ مليون) سنة. فلا بد من ان انفجاراً عنيفاً قد حدث في الفضاء حتى يتسبب

في خلق هذا التمدد، ويدعى هذا التمدد الكوني بالانفجار العظيم...[١]

إن هذا التمدد الكوني ينطبق عليه قول الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿والسماءَ بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون﴾ {الذاريات: ٤٧}

أما في حالة الكون المغلق فإنه لا حاجة إلى انتظار موت نجمة أثر أخرى. قيامة مشتركة سوف تنهي كل شيء. ففي هذا النموذج ستتباطأ سرعة اتساع الكون تدريجياً، وبعد ملايين السنين ـ يعتمد هذا على مدى زيادة كثافة الكون عن الكثافة الحرجة ـ ستقف حركة الأتساع تماماً ثم تبدأ المجرات بالتراكض نحو نقطة واحدة. وبسرعات متزايدة مع الزمن... [٢] .

إن هذه المعلومات العلمية بتساقط النجوم يوم القيامة قد جاءت مطابقة لقوله الله عز وجل: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ {الانفطار: ١-٢}

ويقول عز وجل: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ {التكوير: ١-٢}

(١) عن كتاب المجرات والكوزرات، لمؤلفه وليام ج. كاوفمان

(٢) الانفجار الكبير. لمؤلفه أميد شمشك

ويستمر الكلام عن الكون: إن احتمال وصول كثافة الكون إلى الكثافة الحرجة أو حتى تخطيها لم يعد الآن احتمالاً بعيداً كالسابق بعد اكتشاف وجود الثقوب السوداء أو كتل الغازات والغبار بين المجرات.

وفي هذه الحالة لا يكون هناك مناص من تغلب قوة الجاذبية على حركة التوسع الكوني حيث ستتباطأ هذه الحركة ثم تقف في يوم من الأيام لكي تبدأ المجرات بالتقهقر والرجوع للتجمع في نقطة واحده...[1]

بمقابل هذه الوصف العلمي نجد الوصف القراني الأجمل حيث يقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ {الأنبياء: ١٠٤}

لا بد من تفصيل الحديث عن الكون وسعته بحسب أقوال العلماء:

هناك أكثر من ثلاثين قمراً مصباحاً لكواكب مجموعتنا الشمسية التي هي بدورها جزء صغير جداً من مجرتنا العملاقة (طريق التبانة)، يعتقد العلماء انها تحتوي على أكثر من (٢٥٠ ألف مليون نجم) وعدد كبير من الكواكب. إن مجرتنا ذات اتساع كبير لدرجة إن الضوء بسرعته الكبيرة التي تساوي (٣٠٠ آلف كيلو

(١) الإنفجار الكبير لمؤلفه. اميد شمشك

متر في الثانية) فإنه أي (الضوء) يدور حول الكرة الأرضية سبع دورات في الثانية، يحتاج الضوء إلى ١٠٠ ألف سنة ضوئية ليقطع مجرتنا، ويقول علماء الفلك إن اتساع مجرتنا يساوي (١٠٠ ألف سنة ضوئية)... وطريق التبانة وأربع وعشرون مجرة أخرى قريبة منها ومثلها في الضخامة والاتساع يكوّن عنقوداً من المجرات يسمى المجموعة المحليَّة وهناك عدد كبير من المجرات تكوّن عناقيد منتشرة في الكون، وعدد هذه المجرات قد يصل إلى عشرة آلاف مليون مجرّة)... (٢)

أرض المحشر

إن القرآن الكريم كتاب الله تعالى وفيه آيات تدل على حقائق علمية قد سبقت علم البشر. ويؤكد القرآن الكريم على أن الله عزَّ وجل سيجمع النجوم والكواكب والمجرات ويصيغها ويخلقها خلقاً جديداً يوم القيامة. والأدلة القرآنية والأحاديث النبوية تؤكد على صياغة الخلق الأرضي صياغة وفق ما أخبر به الله عز وجل وهو موضوع أرض المحشر / النار / الجنة، وصلة بعضها ببعض. يقول الله تعالى:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ {إبراهيم: ٤٨}

---

(٢) مجلة العربي العدد ٣١٥ بقلم الدكتور فخري اسماعيل الحسن.

الحشر يوم القيامة سيكون على هذه الأرض، وإن امتداداً سيحدث لهذه الأرض كما يؤكد ذلك القرآن الكريم: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ، وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ {الانشقاق: ١-٤}

الانشقاق سيكون يوم القيامة وهو انشقاق السماء ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي تمتد الأرض التي سنحشر عليها. قالوا في تفسير هذه الآية ﴿وإذا الأرض مدت﴾ أي بسطت ودكت جبالها، قال المفسرون: (تمد مدَّ الأديم) لأن الأديم إذا مدَّ زال كل انثناء فيه وامتد واستوى.

قال ابن عباس ﷺ وابن مسعود ﷺ : ويزاد سعتها كذا وكذا لوقوف الخلائق عليها للحساب حتى لا يكون لاحد من البشر الا موضع قدمه لكثرة الخلائق فيها.

﴿وألقت ما فيها وتخلت﴾ أي أخرجت أمواتها وتخلَّت عنهم... (تفسير القرطبي).

كما أن هناك اتصال بين أرض المحشر والنار. وهذا الأتصال تؤكده الآية الكريمة ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ {الزمر: ٧١}

يا ترى من أين يساقون ؟ طبعاً من أرض المحشر إلى النار، وهذا يدل دلالة واضحة على أن هناك اتصال بين أرض المحشر والنار، ودليل آخر من القرآن الكريم: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ، وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ {مريم: ٨٥-٨٦}

هذه الإشارة القرآنية ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ يساقون من أرض المحشر وبعد الحساب إلى جهنم. وعن أبن عباس رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة فقال: ***((يا أيها الناس أنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنَّا فاعلين الا وان أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ــ عليه السلام ــ إلا وأنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال. فاقول يا رب اصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح))*** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } ١١٧ { إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قال: فيقال لي: ***((إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم))***.. {رواه البخاري ومسلم واحمد والترمذي}

هذا الحديث يدل على إن البشر سيحشر على الأرض التي لها صلة بالنار والصراط والجنة عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: ((***يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد***))... {أخرجه الشيخان}

وقول النبي ﷺ: ((***ليس فيها علمّ لأحد***)) يدل على إن الأرض ليس فيها علامة من جبل ولا وادي ما هي إلاّ كما قال الله تعالى: ﴿ قَاعًا صَفْصَفًا ، لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ {طه: ١٠٦-١٠٧}

حمل الأوزار

سنتكلم عن الأوزار وفق ما جاء في القرآن الكريم، ويجب أن نأخذ اللقطات بالترتيب حتى تتوضح الصورة كاملة:

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ {الأنعام: ٣١}

الأوزار على الظهور.. فيا ترى هل أن هذه الأوزار معنويّة أم ثقليّة ؟

ولا يجوز إن يُقال في كتاب الله بالرأي المجرد، وأفضل تفسير للقرآن هو تفسير القرآن بالقرآن. عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع النبي ﷺ قوماً يتدارؤون في القرآن فقال: ((***إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فكلوه إلى عالمه***))[أخرجه أحمد وأبن ماجه]

وبعد تفسير القرآن بالقرآن يأتي ما فسره رسول الله ﷺ ، بعد هذا يأتي إجماع الصحابة ثم الذين دعا لهم رسول الله ﷺ أمثال ابن عباس وأبي هريرة ثم بعد هذا يأتي تفسير العلماء المحققين..

والقرآن الكريم لا ينتهي إعجازه ولا تنتهي عجائبه، ابدع الله حكمته وتراكيبه واسلوبه والفاظه ونظمه الذي يؤثر في النفوس ويهز القلوب: (القرآن الكريم كتاب الله الدال عليه لمن اراد معرفته، وطريقه الموصلة لسالكها اليه، ونوره المبين الذي اشرقت له الظلمات، ورحمته المهداة: التي بها صلاح جميع المخلوقات، والسبب الواصل بينه وبين عباده إذ ا انقطعت الاسباب، وبابه الاعظم الذي منه الدخول فلايغلق اذا غلقت الابواب، وهو الصراط المستقيم الذي لاتميل به الآراء، والذكر الحكيم الذي لاتزيغ به الاهواء، والنزل الكريم الذي لايشبع منه العلماء لاتفنى عجائبه، ولاتقلع سحائبه، ولاتنقضي اياته، ولاتختلف دلالاته، كلما ازدادت

البصائر فيه تأملاً وتفكيراً، زادها هدايه وتبصيرا) (مدارج السالكين) لابن القيم الجوزية.

هذا وصف بديع لكتاب الله العزيز... وياله من وصف رائع وجميل.. !

قلنا بتفسير قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ وقلنا هل إن هذه الأوزار معنوية أم ثقليَّة ؟ جواب هذا نراه في كتاب الله العزيز:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ {العنكبوت: ١٢-١٣}

هذه الآية تفسر الآية من سورة الأنعام. وتبين لنا أن الأوزار هي أثقال: ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾. هذا تفسير القرآن بالقرآن. وفي حساباتنا إذا كان الثقل للأوزار (٥٠ كغم) أو (٢٠ كغم) فهذه الأوزار بهذه الأثقال ممكن حملها. أما إذا كانت (٢٠٠ كغم) أو (١٠٠٠ كغم) أو أكثر من ذلك فكيف يستطيع الإنسان أن يحملها يوم القيامة ؟إن هذه الأثقال هي فوق طاقته. فيا ترى هل سيحمل بعض هذه الأثقال التي يستطيع حملها ثم يحمل البقية على مراحل أم يحملها كاملة ؟

جواب هذا نجده في كتاب الله العزيز ! ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾

{النحل: ٢٥}

كيف سيحملون هذه الأثقال وهم لا يطيقون حملها ؟ جواب هذا نراه في حديث رسول الله ﷺ : عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: ((***استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد يقال له أبن اللتبيَّة على الصدقة، فلما قدم قال هذا لكم وهذا اهدي ليَّ قال: فهلاّ جلس في بيت أبيه ـ أو بيت أمه ـ فينظر أيهدى له أو لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منكم شيئاً إلاَّ جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته أن كان بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تبعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة ابطيه، اللهّم هل بلغت اللهّم هل بلغت ثلاثاً***)) {رواه البخاري}

والآن نسأل كيف يُحمل البعير على الرقبة؟ وكيف تحمل البقرة على الرقبة وكيف نفسر هذا ؟ تفسير هذا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((***إن ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل جبل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث أيام للراكب المسرع***)).. {رواه مسلم واحمد والترمذي}

فإذا كان ضرس الكافر مثل جبل أحد فتصور إنساناً في فمه (٣٢) جبل أحد، فما حجم رأسه وما حجم جسمه ؟

إن الكفار يحشرون يوم القيامة عمالقة حتى يحملوا الأوزار والأثقال كاملة، وفي الحديث عن يعلى بن مَّرة قال: قال رسول الله ﷺ:((***من أخذ من الأرض شيئاً ظلماً جاء يوم القيامة يحمل ترابها إلى المحشر***)) {رواه الإمام أحمد في مسنده}

كيف سيحمل تراب الأرض المغصوبة إذا كانت بمئات الدونمات وقد تبلغ الآلاف ؟ وأين سيذهب بهذه الأوزار... ؟ وهل سيحملها وهو قادر على حملها؟ أم سيحملها وهي ثقيلة لا يستطيع حملها الاَّ بجهد كبير؟ جواب هذه الأسئلة سنجده في كتاب الله العزيز: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا، مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا، خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ {طه: ٩٩-١٠١}

الله أكبر... أنظر الوصف الدقيق المرعب، الصورة التي سيكون عليها يوم القيامة أولئك المتكبرون الظالمون: أنظر قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا، خَالِدِينَ فِيهِ﴾

إنهم سيحملون الأوزار.. وسيبقون حاملين لها وخالدين في نار جهنم.. بمعنى يعذبون وهم يحملون الأوزار. يا ترى هل سيحملونها وهم غير متكلفين بحملها..؟

جواب هذا نجده في كتاب الله العزيز: ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ أي حملاً سيئاً. فإذا كانت قدرة الإنسان من الأحمال هي (١٠٠ كغم) فكيف به الحال وقد حمَل (٢٠٠كغم)، إذن هذا هو الحمل السّيء.

وأختم هذا الموضوع بحديث رسول الله ﷺ عن ابي هريرة قال: ***((قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول وعظّمَ أمره قال: لألفينَّ أحدكم يوم القيامة علىٰ رقبته فرس له حمحمة، يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك. وعلى رقبته بعير له رغاء، يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك. وعلى رقبته صامت[1] فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك أو على رقبتهِ رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك))*** {رواه البخاري ومسلم واحمد}

---

(١) الصامت: الأرض والصخر والحديد والأشياء التي لا تتكلّم. ومن غلَّ شيئاً أي أخذه بغير حق يأتي يوم القيامه يحمله. عن عبد الله بن انيس قال: قال رسول الله ﷺ: *((من غلّ بعيراً أو شاةً أتى يحمله يوم القيامة))* {رواه الإمام أحمد صحيح الجامع وابن ماجه}

يوم العرض

مثِّل وقوفك يوم العرضِ عريانا ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
واقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرار لمن عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المشركون غدوا في النار والتهبوا ... والمؤمنون بدار الخلد سكانا

وفي حديث رسول الله ﷺ: ((***ما منكم من أحد إلاَّ وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلاَّ ما قدّم وينظر عن شماله فلا يرى إلاَّ ما قدم. فينظر بين يديه فلا يرى إلاَّ النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة واتقوا النار ولو بكلمةٍ طيبة***)) {رواه البخاري واحمد ومسلم والترمذي عن عدي بن حاتم}

الأولون والآخرون أمام الله تعالى في ساحة العرض المهيب... وفي ساحة العرض هذه هناك نسبة أهل الجنة ونسبة أهل النار.

عن ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ((***يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك. فيقول أخرج بعث النار قال وما بعث النار ؟ قال كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فعنده***

يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد ؟ قال: ابشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف ثم قال والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا فقال ما أنتم في الناس إلاّ كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود)). {أخرجه البخاري ومسلم واحمد}

هذه النسبة: (١٠٠٠ = ٩٩٩ + ١). إذن (٩٩٩) إلى النار وواحد فقط إلى الجنة. إن الإنسان ومهما عمل من خير وأطاع الله تعالى فإن عمله لا يدخله الجنة إلاّ برحمة الله تعالى لهذا يقول رسول الله ﷺ: ***((لن يدخل أحد عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله بفضل ورحمة فسدّدوا وقاربوا ولا يتمنينّ أحدكم الموت أما محسناً فلعله إن يزداد خيراً وإما مسيئاً فلعله إن يستعتب))***.. { أخرجه البخاري ومسلم عن ابي هريرة}

القرآن الكريم يؤكد هذا المعنى فيقول الله عز وجل:

﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾... {الأعراف: ١٥٦}

عن ابي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ***((إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة واحدة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة))..***

{رواه البخاري ومسلم والترمذي واحمد}

قال الحبيب المصطفى ﷺ: ***((والذي نفس بيده الله أرحم بعبيده من الشفيقة بولدها))*** {رواه البخاري والترمذي}

إذن رحمة الله هي من تدخل العبد الصالح إلى الجنة، وما العمل الصالح إلاَّ وسيلة تقودنا إلى رحمة الرحمن الرحيم..

الموازين والحساب

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ {الأنبياء: ٤٧}

ومعنى الآية أي نضع ميزان الحق والعدل، وبه نحاسب العباد ونزن أعمالهم ونحاسبهم على مثقال حبة من خردل (لصغرها) وكفى بنا حاسبين أي: ألا يكفي أن نحاسبهم على مقدار مثقال حبة من خردل ؟

بلى يا رب.. !! ويؤكد الله تعالى موضوع الحساب والسؤال فيقول: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ {الحجر: ٩٢}

أخرج الترمذي والطبراني والبزار باسناد صحيح من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**_لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال. عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم ابلاه وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه_**)) {واخرجه الترمذي والدارمي عن ابي برزه}

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ {النساء: ١٢٥}

فلا يقبل الله من العمل الا ما كان خالصاً لوجهه، على متابعة امره وماعدا ذلك فهو مردود.

قال الفضيل بن العياض: (العمل الحسن هو اخلصه واصوبه، قالوا ياأبا علي ماأخلصه واصوبه ؟ قال: ان العمل اذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، واذا كان صوابا ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً) يقول تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ {المؤمنون: ١٠١-١٠٤}

إن الله تعالى يسقط الأنساب يوم القيامة.. فلا أنساب ولا أحساب، بل سيكون نسب العبد ما عمله في الدنيا.. وهناك نسب

المفلحين ونسب الخاسرين أما نسب المفلحين فهو قوله تعالى: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ وأما نسب الخاسرين فهو قوله تعالى ﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾

فطاعة الله هي النسب الذي يفتخر به. وعصيانه هي الخسارة التي ما بعدها خسارة..

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ {ال عمران: ٣٠}

أي يوم القيامة يحضر العبد جميع اعماله من خير وشر، كما قال تعالى ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ {القيامة: ١٣}

فما رأى من اعماله حسنا سره ذلك وافرحه وما رأى من قبيح ساءه، وغصه، وودّ لو انه تبرأ منه، وان يكون بينهما امد بعيد، كما يقول لشيطانه الذي كان مقرونا به في الدنيا: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ {الزخرف:٢٨} تفسير ابن كثير ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ

الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ {الأعراف: ٨-٩}

موقف رهيب أيها الإنسان.. هيء نفسك لهذا اليوم وكن على استعداد للقاء الله تعالى لأنَّ مصيرك يتوقف على ما قدمت وما أخّرت من عمل، وإني لأسأل الله ربي أن يفرغ علينا صبراً ويتوفنا مسلمين... !

عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله ﷺ قال: ((ليس احد يحاسب يوم القيامة إلا هلك)) فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ {الانشقاق:٧-٨}

فقال رسول الله ﷺ ***((انما ذلك العرض وليس احد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذّب))***. {رواه البخاري}

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ {عبس:٣٤-٣٧}

في هذه الأماكن ينسى الإنسان كل أهليه وأصحابه ويقول: يا نفسي، وإنَّ بعض الظالمين يتمنى لو يفتديه أقرب الأقرباء.. يقول الله عزوجل:

﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ، يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ، وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾. {المعارج: ١٠-١٤}

المجرم يبقى مجرماً.. إنه يريد إن يفتديه أحد أبنائه أو صاحبته أو أخيه أو فصيلته أو من في الأرض جميعا لينجوا بنفسه فقط... أما الباقون فلا ضير ان ذهبوا إلى جهنم جميعاً فداء له... يريد ولكن هيهات لما يريد ؟

الشهادات

الشهادات في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، وقد يتصور الإنسان أن تكون الشهادة صادرة عن شاهد قريب وينسى أن هناك من الحواس أو الأعضاء التي في جسده شاهد حقيقي عليه يوم القيامة. يقول الله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ، حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ

عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ {فصلت: ١٩-٢٣}

هكذا الحساب وهكذا الشهادات، الله تعالى بقدرته تتكلم الجلود أمامه ويشهد السمع والبصر، فلا يخفى على الله شيء.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

{النور: ٢٤}

شهادات جديدة.. وشهود جدد غير الشهود المذكورين في الآيات القرآنية السابقة، هناك الجلد والسمع والبصر، وهنا الألسنة والأيدي والأرجل...!!

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ {الأنعام: ١٣٠}

وشهادات إضافية أخرى.. الرسل.. (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) والأنفس على ذاتها ﴿ قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾. والشهادة على النفس هي قمة الاعتراف بالحقيقة، كما أنها قمة الضعف

والانهيار التي تصيب الإنسان يوم القيامة لإدراكه بيقين ان عدم الإعتراف بالحقيقة يعني شهادة الشهود الآخرين. ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

{يس: ٦٥}

شاهد ذو قلب رحيم، عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ ***((اقرأ عليّ))*** فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل؟ ***((قال نعم اني احب ان اسمعه من غيري))*** فقرأت سورة النساء حتى اتيت هذه الاية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فقال: حسبك الآن فاذا عيناه تذرفان))

{رواه البخاري ومسلم}

هكذا الحال يوم القيامة... عند السؤال لا يستطيع أحد أن يكذب، فالشهود كثيرة والأدلة واضحة.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ***((إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول نعم أي ربّ حتى قرّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته. وأما الكفار***

والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الاشهاد (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين))).

{رواه البخاري ومسلم واحمد والنسائي وابن ماجه}

الآهات والحسرات

الآهات والحسرات مشاعر إنسانية بحتة يشعر بها الإنسان في حياته، فيغتم لها ويبقى يعاني آلامها طيلة حياته الدنيا، والدنيا أجل مسمى، فما بالنا يوم القيامة وهناك تكثر الآهات والحسرات ومن دون فائدة، في الدنيا لم يكن لها فائدة.. فما حسبنا في الحياة الآخرة... ؟

يقول الله عزّ وجل: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ {الزمر: ٥٦}

تبين لنا هذه الآية الكريمة ان النفس الإنسانية ستقول هذا الكلام ﴿يا حسرتا﴾ أمام الأولين والآخرين يوم القيامة،ولكن دون فائدة... !

ويقول الله عزّ وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾

{الفرقان: ٢٧-٢٨}

هنا توضيح أكثر.. فالظالم يعض على يديه، وما أدري والله كيف يكون عضه على يديه أقوي أم بسيط.. وتنتابه الحسرات لأنه لم يأخذ طريق الرسل، وهذا الشعور بالحسرة والندم لا يجدي الكافر نفعاً، ويزيد هذا الكافر الظالم قوله فيقول: ليتني لم اتخذ فلاناً من الناس رفيقاً وصديقاً، إنه شعور بالأسى والحزن والحسرة، ولكن هيهات لهذا الشعور ان يغير من واقع الحال الذي سيكون عليه الظالم يومئذ امام الله سبحانه وتعالى..

ولو امعنا النظر في قوله تعالى ﴿ لم اتخذ فلاناً . . ﴾ فالقرآن الكريم لم يعط اسماً واضحاً لهذا (الفلان).. أبقاه نكرة..

وبهذا تكون كلمة (فلاناً) شاملة من غير تحديد، إنها تعني فلاناً من الضالين، سواء من الأخوة أو الأصدقاء او الأقرباء والأبعد من ذلك. كل هؤلاء سيندم الظالم على رفقته لهم في الحياة الدنيا، ولكن هل يفيد الندم شيئاً ؟ يقول الله عزّ وجل: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ {الأنعام: ٣١}

ويقول الله عزّ وجل:﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾. {البقرة:١٦٧}

يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ {مريم: ٣٩} ويقول الله عز وجل: ﴿وَاقْتَرَبَ

﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ {الأنبياء: ٩٧}

موقف مرعب، الحسرة والندامة في كل أحوال الظالم، عند قيام الساعة ﴿يا حسرتنا﴾. وعند الحساب ﴿ياويلنا﴾ وعند السوق إلى النار ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ، لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾

{الفرقان: ١٣-١٤}

وعند البعث من القبور ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾. {يس: ٥٢}

الحسرة والندامة رفيقتا الظالم يوم القيامة. فكل الأعمال القبيحة في الدنيا يراها الظالم ماثلة أمام عينيه فتكون حسرات تطبق انفاسه وتزيده هَماً فوق هَمه...

المسيرة الكبرى

تبدأ المسيرة الكبرى من ساحة العرض والحساب إلى الصراط المستقيم، والمسيرة الكبرى هذه تضم المؤمنين والكافرين، الأولين والآخرين. يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾: {مريم: ٧١-٧٢}

عن ابن مسعود والحسن وقتادة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ هو الجواز على الصراط لأن الصراط ممدود على النار. وعن ابن عباس يقول: قد يرد الشيء لا يدخله كقوله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾. تفسير الزمخشري.

كل البشر، المؤمنون والكافرون سيساقون من ساحة العرض إلى الصراط...!! والكل سيرى جهنم.. !! ومعلوم أن المؤمنين سيّاقون إلى الصراط المستقيم لأنهم يسيرون (الكل) في ظلام. أما المؤمنون فإن نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم، وقد ذكر الله هذه الحقيقة فقال عزّ وجل:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ {الحديد: ١٢}

الكل يسير في ظلام دامس ليس هناك من نور يضيء الطريق لهذه الجحافل السائرة... الكل يسير !! إلى أين... ؟ إلى الصراط..؟

ولكن المؤمنين تأتيهم النجدة.. من أين..! من الرحمن الرحيم... ! لأن الله تعالى وعد المؤمنين ان يستجيب لهم إذا التزموا أوامره، يقول عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ {التحريم: ٨}

فإذا بالنور يسعى بين ايديهم وبأيمانهم. نور أعمالهم في الحياة الدنيا، الأعمال الصالحة تقلب هناك إلى نور يستضيء به المؤمنون

والمؤمنات، وهذا النور هو الذي يحفظهم من السقوط من على الصراط لأنهم يبصرون الطريق بكل وضوح.

روى ابن جرير الطبري بسنده عند تفسير الاية (١٢) من سورة الحديد عن مجاهد قوله: ﴿ربنا اتمم لنا نورنا﴾ قال: قول المؤمنين حين يطفأ نور المنافقين. وقال الطبري في تفسير ﴿ربنا اتمم لنا نورنا﴾. يقول جل ثناؤه مخبراً عن قيل المؤمنين يوم القيامة: يقولون ﴿ربنا اتمم لنا نورنا﴾ يسألون ربهم ان يبقي لهم نورهم فلا يطفئه حتى يجوزوا الصراط وذلك حين ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾.

وقال ابن كثير في تفسير ﴿ربنا اتمم لنا نورنا﴾ قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم. هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفئ ... قوة النور أو قلّته تأتي بحسب الأعمال الصالحة (الحسنات).

فكلما كانت الأعمال الصالحة كثيرة، كلما كان النور مضيئاً، وكلما قلّت هذه الأعمال كلما قلَّ النور، ولا نور للكافرين أو الظالمين، بل ظلام في ظلام...!

جسر جهنم

يقول الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ، يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ، فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ {الحديد: ١٣-١٥}

هذه الآيات الكريمة تصور لنا الصراط والسير عليه. قال أبو امامة: يعطى المؤمن النور. ويترك الكافر والمنافق بلا نور، فإذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع أقدامهم قالوا للمؤمنين... ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ﴾.

فلما رجعوا وانعزلوا في طلب النور ﴿ضرب بينهم بسور﴾ أي هلا طلبتم النور مما عملتم في الدنيا التي تركتموها وراءكم.

{تفسير القرطبي}

في حديث لرسول الله ﷺ يؤكد لنا ان أرض المحشر في ظلمة، فيقول: (روى مسلم. ان حبراً من احبار اليهود أتى النبيﷺ فقال: يا محمد أين يكون الناس يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول اللهﷺ هم في الظلمة دون الجسر)...

{رواه مسلم عن ثوبان}

الناس دون الصراط تمشي في ظلام، ويستمر الظلام على الصراط، ولا نور إلاَّ مما اكتنز الإنسان من الأعمال الصالحة في الحياة الدنيا: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾

هذه الآية تدل بوضوح على أن المؤمنين سبّاقون على الصواط، والظلام قد عمَّ المكان كلّه، وقد يسأل سائل ! إذا كان الصراط فوق النار الا تضيء النار الصراط ؟ جواب هذا نراه في حديث ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((***ناركم هذه التي يوقد ابن ادم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يارسول الله قال: فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزء كلها مثل حرها***))

{رواه البخاري ومسلم واحمد والترمذي ومالك}

قال ابو هريرة: اترونها حمراء كناركم هذه ؟ لهي اسود من القار. (والقار) الزفت. {رواه مالك في الموطأ}

الصراط مركب على سواد مظلم.. وجهنم سوداء مظلمة، فالمؤمنون تصبح أعمالهم بقدرة الله نوراً، وهذا النور بقدر الأعمال الصالحة، كلما كان العمل الصالح كثيراً كلما كان النور واسعاً، وسرعة مرور المؤمنين على الصراط بقدر أعمالهم.

عن ابي هريرة: يقول الرسول ﷺ: ((***فيمر أولكم كالبرق، قال قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق ؟ قال الا ترون إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: ربِّ سلّم سلّم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلاّ زحفاً. قال وفي حافّتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأمر من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار والذي نفس ابي هريرة بيده أن قعر جهنم لسبعون خريفاً***))

{رواه مسلم}

هذا الحديث يوضح لنا كيف يمشي المؤمنون على الصراط، إنهم يمشون بسرع متفاوتة، فمنهم من يمر كالبرق أي بسرعة الضوء، ومنهم من يمر كالريح العاصف، ومنهم كالطير، وفي رواية كالفارس، ومنهم راكبون على النجائب، والنجائب حيوانات يركب عليها المؤمنون على الصراط، ومنهم من يهرول، ومنهم ماشٍ، ومنهم مخدوش ناجٍ، المؤمنون يسيرون على الصراط بسرع متفاوتة بحسب أعمالهم الصالحة، والمنافقون والمنافقات وراءهم

يقولون لهم: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ فيرد المؤمنون على هؤلاء فيقولون ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾ هنا يضرب السور بينهم وبين المؤمنين الذين سبقوهم، وفي هذا يقول الله عزّ وجل: ﴿ فضرب بنيهم بسور له باب باطنة فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾. يضرب السور في لحظة بقوله تعالى: ﴿كن فيكون﴾. ولهذا جاءت كلمة ﴿ضرب﴾. وهذا السور هو الأعراف الذي ورد ذكره في القرآن الكريم. يقول تعالى: ﴿وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال﴾. الحجاب أي بين النار والجنة حاجز، أي سور، وهو السور الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿ فضرب بينهم بسور ﴾...

{سورة الحديد}

﴿وعلى الأعراف رجال ﴾ أي على أعراف السور وهي شرفُهُ ومنه عرف الديك وعرف الفرس، وعن ابن عباس ان الأعراف سور له عرف كعرف الديك.. تفسير القرطبي.

والسور هو الأعراف، يكون عليه ناس تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وبعد أن يضرب السور ينادي الكافرون المؤمنين ألم نكن معكم. ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ

أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ {سورة الحديد}

وهنا نتساءل لماذا جاء لفظ ﴿ينادونهم﴾. ولم يأتِ لفظ (قالوا)؟ لأن السور أصبح حاجزاً بين المؤمنين والكافرين، فالقول لا يجدي نفعاً، فالسور يحجز القول بين الطرفين. إذن الكفار بحاجة إلى نداء، والنداء هو ما علا على القول. أي صوت أكبر وأقوى كي يدرك مسامع الطرف الآخر. إن القلم ليعجز عن تبيان الحال يوم القيامة، وقد ورد وصف هذا الحال في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولو جمعناها لتكونت عندنا الصورة الآتية: عندما يؤتى بجهنم من مكان بعيد ولها شهيق وزفير ويسحبها الملائكة عند ذلك تجثوا الأمم على الركب. يقول تعالى: ﴿ وترى كل أمة جاثية ﴾ {الجاثية: ٢٨}

قال الضحاك عن مزاحم الهلالي التابعي: ان جهنم تزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خرّ ساجداً يقول رب نفسي نفسي. {رواه هناد بن السري في الزهد ١٧٦/١}

وقال عبيد الله بن ابي جعفر ابو بكر الفقيه التابعي: ان جهنم لتزفر زفرة تنشق منها قلوب الظلمة ثم تزفر اخرى فيطيرون في الارض حتى يقعوا فيها على رؤوسهم. {رواه ابن ابي عاصم في كتاب الزهد ٣٩٨/١}

فالأمم جاثية من الخوف من عذاب الله، والملائكة تسحب جهنم ثم توضع في الجب أي الوادي المعد لجهنم ثم يضرب الصراط فوق ظهراني جهنم بقوله تعالى: ﴿ كن فيكون ﴾.

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ.﴾ {آل عمران: ١٨٥}

والسير مستمر على الصراط إلى أن يصل المؤمنون إلى قنطرة. عن ابي سعيد الخدري، يقول رسول الله ﷺ: ((***يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذّبوا ونُقّوا اذن لهم في دخول الجنة، فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا***)) {رواه البخاري واحمد}

فمن رحمة الله تعالى أنه عز وجل يُنقي ويهذّب المؤمنين فيما بينهم حتى إذا دخلوا الجنة لا يحمل أخ لأخيه ضغينة أو كراهية وبهذا يقول تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ أخواناً على سرر متقابلين﴾.. {الحجر:٤٧}

من خلال هذه الآيات والأحاديث يتبين لنا أن المؤمنين سيقفون في قنطرة وهي اشبه ما تكون (بدار استراحة) الغرض من الوقوف بها هو التهذيب والتنقية ورفع الشوائب الإنسانية التي كانت

في نفس المؤمن في الحياة الدنيا وذلك أستعداداً لدخول الجنة وأستعداداً لحياة الخلود الأبدية.

عن سعيد بن أنس عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: ***((بينما رسول الله ﷺ جالساً رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه. فقال عمر ما أضحكك يا رسول الله بأبي انت وأمي؟ قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربّ العزة تعالى فقال أحدهما يا ربّ خذ لي بمظلمتي من أخي. فقال أعط أخاك مظلمته، قال يا ربّ لم يبق من حسناتي شيء. قال يا ربّ فليحمل عني أوزاري. وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه أن يحمل من أوزارهم. قال فيقول الله عز وجل للطالب أرفع رأسك وأنظر إلى الجنان، فرفع رأسه فقال يا ربّ أرى مداين من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ. لأي نبي هذا لأي شهيد هذا ؟ قال هذا لمن أعطاني الثمن، قال يا ربّ ومن يملك ذلك ؟ قال أنت تملكه. قال بماذا يا رب ؟ قال بعفوك عن أخيك.قال يا رب قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك أتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فأن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة))***

{رواه البزار وأبو يعلى والحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد، وضعفه البخاري وابن حبان}

نعود إلى الآية من سورة الحديد ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ اليوم لا وجود لفدية من المال يفتدي الكافر نفسه بها، ومن أين له يوم القيامة مالاً حتى يفتدي نفسه به.. ؟ والآية هنا لا تشير إلى الكافر وحسب، وانما تشير أيضاً إلى المسلم العاصي فقوله تعالى ﴿لا يؤخذ منكم فدية﴾ تعني المسلمين الظالمين والعصاة وقوله تعالى ﴿ولا من الذين كفروا﴾ أي الكافرين... إذن الصنفان مأواهم النار وبئس المصير يقول الله تعالى: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار لن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ﴾ {آل عمران:٩١}

المستحيل واضح في هذه الآية الكريمة، فمستحيل أن نملأ الأرض ذهباً.. لأن الذهب جزء يسير خلقه الله في هذه الأرض، فمن أين لنا الذهب ملء الأرض... ؟ ومع كل هذا لو جاز وملأنا الأرض ذهباً لنفتدي به أنفسنا من عذاب الله لما قبل الله تعالى هذه الفدية... لكن العمل الصالح وهو الكنز الحقيقي الذي يريده الله تعالى منا في هذه الدنيا.. أنه عز وجل يقبل الصالحات، وإنها أكبر ثمناً عند الله من الذهب أو المجوهرات الدنيوية...!

عن أنس بن مالك ﷺ قال: (ان نبي الله كان يقول يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به؟ فيقول نعم فيقال له قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك). **{رواه البخاري ومسلم واحمد}**

والأيسر من الذهب هو الإيمان والعمل الصالح. فالإيمان يساوي أكثر من ثقل الأرض ذهباً.

دعوات لا تستجاب

أهل النار لا يستجاب لهم، دعواهم غير مسموعة، ولا مجيب لدعائهم...! وفي النار حوار بين المعذبين وبين خزنة النار، وهذا الحوار يصفه القرآن الكريم فيقول الله عز وجل:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ، قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ {المؤمن: ٤٩-٥٠}

توضح لنا الآية الكريمة أن أهل النار طلبوا من خزنتها ان يخفف الله عنهم يوماً من العذاب، ما هو العذاب المخفف ؟ إن أخف عذاب يصفه الرسول ﷺ فيقول: ***((إن أهون أهل النار***

عذاباً يوم القيامة رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه)) {رواه البخاري ومسلم واحمد والنسائي عن النعمان بن بشير}

أراد أهل النار هذا النوع من العذاب المخفف يوماً واحداً بينما هم لابثون فيها أحقاباً. يقول المفسرون عندما أراد أهل النار من الخزنة تخفيف يوم من العذاب بعد ألف عام يكون الرد ﴿أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ وأجاب أهل النار ﴿قالوا بلى﴾. قال الخزنة لأهل النار ﴿فادعوا﴾ وهم يعلمون أن دعاءهم لا يستجاب وجاء قوله تعالى: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾

عندما ييأس أهل النار من الخزنة يبقون في النار إلى ما شاء الله، ثم يطلبون رئيس الخزنة وهو (مالك) عليه السلام يسألونه بطلب جديد يصفه لنا القرآن الكريم بقول الله عز وجل: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ {الزخرف: ٧٧}

مالك هو رئيس الخزنة. ﴿ونادوا يا مالك﴾ ولم يأتِ اللفظ (وقالوا يا مالك). لأنهم لا يعلمون أين رأسه. وكلمة نادى للبعيد، أما قال فهي للقريب...!

فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا مالكا وهو عليهم. وله مجلس في وسطها أي وسط النار، وهناك جسور تمر عليها ملائكة العذاب

فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها. قال الأعمش نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك ! اياهم ألف عام.. خرَّجه الترمذي. وقال ابن عباس يقولون ذلك فلا يجيبهم ألف سنة ثم يقول ﴿إنكم ماكثون﴾... تفسير القرطبي..

أهل النار يطلبون الموت من مالك ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيجيبهم مالك: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ لم يكتف بهذا بل أقام عليهم الحجة كما أقاموها الخزنة عليهم: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾..{الزخرف: ٧٨}

الحجة دائماً تقام على العصاة أهل النار. يقول تعالى ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى﴾ {الزمر: ٧١}

وحجة أخرى يقول تعالى: ﴿ ألم يأتكم نذير، قالوا بلى قد جاءنا نذير ﴾ {الملك: ٨-٩}

لقد طلبوا التخفيف يوماً واحداً ولم يستجب لهم.. وطلبوا الموت ولم يستجب لهم، وتأتي اللقطة الثالثة.. ماذا يريدون..؟

يقول تعالى في وصف الحالة الثالثة: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ، وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ {فاطر: ٣٦- ٣٧}

هاتان الآيتان جمعتا معاني الآيتين في سورة المؤمن حيث طلب الكفار من الخزنة تخفيف يوم واحد، كما جمعت معاني الآيتين في سورة الزخرف حيث طلب الكفار الموت من مالك ولم يستجب لطلبهم في الموضعين. لا تخفيف ولا موت، وفي الآيتين من سورة فاطر لا يستجاب لهم بالطلب الجديد الثالث وهو ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾.

وفي هذه الآية طلبوا الخروج من النار، وفي آية أخرى طلبوا الرجوع إلى الدنيا يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. {الأنعام:٢٧}

هنا يتبين طلب أهل النار وتمنياتهم لو يرجعهم الله إلى الدنيا فيعملوا صالحاً ولا يكذّبوا بآيات الله، وذلك عند رؤيتهم النار وقبل دخولهم إليها، ولحظة سماعهم شهيقها وزفيرها. لكن الجواب لهذا

الطلب أن الله لو ارجعهم إلى الدنيا فسيعملون ذات العمل السيء ويكذبوا الرسل ويعملوا المنكرات فقال عزَّ وجل ﴿إنهم لكاذبون﴾ وخلاصة القول فأن هؤلاء يطلبون الآتي:

١. طلبوا التخفيف يوما واحداً ولم يجب طلبهم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ {المؤمن: ٤٩}

٢. طلبوا الموت من شدة العذاب الذي هم فيه فلم يجب طلبهم.

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ {الزخرف: ٧٧}

٣. طلبوا الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحاً ولا يكذبوا ولم يجب طلبهم.

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ {فاطر: ٣٧}

وبعد هذه المطالب الثلاثة يأتي الجواب مخيباً أمنياتهم فيقول العليم الحكيم: ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ {الأنعام: ٢٨}

كانت الحياة الدنيا كافية لهؤلاء: ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ أي ألم نمدكم باعمار ؟ ولكنكم أعرضتم ولم تتفكروا خلال العمر وتسألوا أنفسكم ما هذه الكتب المقدسة ؟ ومن هم هؤلاء الأنبياء والمرسلون ؟ ألم تتفكروا بمن خلقكم ؟ ألم تسألوا أنفسكم من خلق السموات والأرض وما بينهما..؟

ويقيم الله تعالى الحجة عليهم دائماً فيقول: ﴿وجاءكم النذير﴾ وهذه الحجة تأتي دائماً لتكبت الكفار وتخرسهم فلا يستطيعون جواباً.. تبا لهم.. فالذي يعرض عن ذكر الله وعن المنهج الذي أنزله على رسله وخاصة النبي الخاتم محمد ﷺ، إن الذي يعرض عن هذا ولم يتدبَّر بما أنزل الله ولم يتفكر بمخلوقاته فهو أضل من الأنعام.

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً، أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾

{الفرقان: ٤٣-٤٤}

هؤلاء الشرذمة الكافرة تراها يوم القيامة في وضع لا يحسد عليه: وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً، يا

﴿وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾. {الفرقان: ٢٧-٢٩}

نعود مرة ثانية إلى الآيات من سورة فاطر لنرى معاني الألفاظ الرائعة: ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ لم يقل الله عز وجل ﴿يصرخون فيها﴾ وسبب ذلك أن الصراخ مؤقت وهو ما يصدر نتيجة لشيء مخيف أو مرعب. أما الاصطراخ فأنه صراخ مستمر وبدون انقطاع مع الألم الفظيع المميت، وقد جاء الوصف الإلهي هذا معبراً عن الحالة الفظيعة التي سيكونون عليها ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ أي في جهنم ﴿ فما اصبرهم على النار ﴾ {البقرة: ١٧٥}

روى البيهقي عن محمد بن كعب القرظي ﷺ أنه قال: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في أربعة منها فإذا كان في الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً:

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ {المؤمن:١١}

فيجيبهم الله عز وجل: ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ {المؤمن: ١٢}

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ {السجدة: ١٢}

فيجيبهم: الله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ {السجدة: ١٤}

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾.
{إبراهيم: ٤٤}

فيجيبهم الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ {إبراهيم: ٤٤}

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾.
{فاطر: ٣٧}

فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ {فاطر: ٣٧}

ثم يقولون: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾. {المؤمنون: ١٠٦-١٠٧}

فيجيبهم الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾. {المؤمنون: ١٠٨}

فلا يتكلمون بعدها أبدا. للإنسان الضال دعوات في اوضاع مختلفة ورهيبة لا يستجاب لها أولاها: عند الموت. ماذا يريد الضال عند الموت ؟

يقول عزّ وجل: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ {المؤمنون: ٩٩-١٠٠}

أراد هذا الضال عند الموت الرجوع إلى الحياة الدنيا حتى يعمل صالحاً لأنه كان ضالاً وظالماً ولكن الجواب يأتي بالنفي ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾ ولا ينفع الندم، وصورة أخرى وطلب آخر عند الموت يقول الله تعالى محذراً ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ، وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

{المنافقون: ١٠-١١}

الرفض مستمر لعدم الرجوع، ويوم القيامة ربنا تعالى يجمع البشر في ساحة العرض، والظالمين يرون جهنم تسعر لها شهيق وزفير ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾

{الشورى:٤٥}

وهو يتمنون أمنية الرجوع إلى الدنيا حتى يعملوا صالحاً ولا ينفع الطلب. يقول الله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾

{السجدة:١٢}

في هذا الوضع وقبل دخولهم النار يقولون وهم في ذلّة وخنوع ﴿ربنا أبصرنا﴾ أي أبصرنا الحق الذي كنّا نكذب به ونصد الناس عنه ﴿وسمعنا﴾ أي سمعنا قول الحق الذي كنّا نصم آذاننا عنه. والطلب مستمر وهو الرجوع إلى الحياة الدنيا ليعملوا صالحاً، ولكن هيهات لا رجوع إلى دار الامتحان بعد الخروج منه، ولقطة أخرى في كتاب الله ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ {الأنعام: ٣٧}

الظالمون كانوا يكذّبون بآيات الله وهم يعترفون بهذا، وطلبوا الرجوع إلى الدنيا ليعيدوا الامتحان، والرّد يأتي بالرفض والتقريع ليجيبهم بهذه الآية يقول تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ {الأنعام: ٣٨}

لقد جاءهم الرد وأذهلهم وثبطهم لأنَّ الله عليم لو أرجعهم لعملوا نفس العمل ولكذّبوا بآيات الله ولضلّوا وأضلّوا، وإنهم

لكاذبون، وآية أخرى تصف الظالمين وطلبهم الرجوع. يقول تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ {الأعراف: ٥٣}

أعترف الضالّون بأحقيَّة الرسل والإيمان بالكتب، فهل ينفع هذا؟ واعترافهم بأنهم كانوا مجرمين فلا شفيع يشفع لهم ولا رجوع إلى قاعة الامتحان مّرة أخرى، إنهم ﴿خسروا أنفسهم﴾ يا للخسارة، وعند دخولهم النار يتكرر الطلب للخروج من النار حتى يعملوا صالحاً وهم لا يعملون ان الامتحان انتهى ولم تبق سوى النتائج، والنتائج لا تغيير فيها ولا تبديل.

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ، وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ {فاطر ٣٦-٣٧}

هكذا الحال لأهل النار، لا تخفيف ولا موت ولا خروج منها ولامجيب، آية أخرى تصف حالة أخرى لأهل النار يقول تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ، وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ، قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ، تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَا

أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ، فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ، فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ {الشعراء: ٩٣-١٠٢}

يختصمون في النار ويعترفون بأنهم ضالون ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ ولا صديق لأنَّ ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلاَّ المتقين﴾ لقد أرادوا الرجوع إلى الدنيا وإعادة الامتحان، ولكن هيهات الرجوع.

قرناء السوء

لقد حذّر الله عز وجل الإنسان من العصيان وأمره بالطاعة وحذره من الشيطان فقال تعالى: ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عَدُوًّا ﴾ {فاطر: ٦}

ولقد بيَّن الله تعالى في القرآن الكريم ان الناس صنفان، منهم من عبد الله وأطاعه وعصى الشيطان، ومنهم من عصى الرحمن وأطاع الشيطان، وقد وصف القرآن هذين الصنفين من الناس فقال عزّ وجل: ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ، قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ، يَقُولُ

أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ، أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ، قَالَ هَلْ أَنْتُم مُّطَّلِعُونَ ، فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ، قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ ، وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ، أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ، إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ {الصافات ٤٨-٦١}

الله تبارك وتعالى يعطينا دروساً ويبين لنا صورة كاملة عن يوم القيامة، وعن المؤمن الذي أراد قرين السوء في الحياة الدنيا أن يضلّه ويشككه بيوم الحساب، ذكر القرطبي في تفسيره رحمه الله: أراد بالقرين قرينه من الشياطين كان يوسوس إليه بانكار يوم البعث والحساب.

﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ أي جالسين على الأرائك يسأل أحدهم الآخر عن حياته التي عاشها في الدنيا، وما لقي فيها، قال أحدهم يصف الوساوس التي كانت تأتيه من القرين. ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ والقرين له معنى آخر هو الصديق من الإنس كان ضالاً ﴿يقول ءإنك لمن المصدقين، ءإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءإنا لمدينون﴾ القرين يقول للمؤمن: أتصدق بانا بعد موتنا وبعد ان

تصبح أجسادنا تراباً وعظاماً سنحيا ونحاسب ؟ يأتي الرد من الله تعالى: ﴿قال هل أنتم مطلعون، فاطّلع فرآه في سواء الجحيم﴾.

الله أكبر.. يا رب كيف رآه وهو مع المليارات من الناس ؟ يقول القرطبي في تفسيره (قال) الله لأهل الجنة ﴿هل أنتم مطّلعون﴾. وقيل هو من قول المؤمن لإخوانه في الجنة هل أنتم مطّلعون إلى النار لننظر كيف حال ذلك القرين. تفسير القرطبي..

وقال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿هل أنتم مطّلعون، فاطّلع فرآه﴾ إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى النار وأهلها. تفسير القرطبي..

فلكل مؤمن قرين من الجن، فيخاطب الله أصحاب الجنة جميعاً بقوله تعالى:

﴿هل انتم مطّلعون﴾ أي هل تريدون أن يرى كل منكم قرينه، والخطاب هنا بصيغة الجمع (هل أنتم) والجواب جاء بصيغة المفرد، إذ قام كل مؤمن ينظر إلى قرينه ليراه في سواء الجحيم ﴿فاطّلع فرآه في سواء الجحيم﴾ الخطاب لكل أهل الجنة، أما الرؤية فتكون انفرادية... كل ينظر بعينيه ليرى قرينه في الجحيم.

قلنا إن النار فيها المليارات من البشر. فكيف يرى المؤمن ذلك القرين من بين تلك المليارات؟

وجواب هذا إن الله أعطى للمؤمنين في الجنة امتيازات فقال تعالى: ﴿ولكم فيها ما تدّعون﴾. {فصلت: ٣١}

أي أعطيكم في الجنة كل ما تريدون لأني راض عنكم. فعندما يريد المؤمن في الجنة أن يرى أحداً من أهل النار فأن الله يخرجه من بين أهل النار ليراه ذلك المؤمن ويكلمه بما يريد. وبدأ المؤمن الذي في الجنة يخاطب القرين ويذكره بما كان يعتقد هذا القرين من الباطل وبما كان يوسوس له:

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ ، وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ لقد أقسم يميناً (تالله) لو أطاع قرينه لكان من المحضرين أي في النار. ولولا نعمة الإيمان والإسلام مع معرفة الوساوس الشيطانية والإحتراز منها ومعرفتها لكان هذا المؤمن في النار مع القرين. وأخذ يناقشه بما كان يوسوس له هذا القرين قال:

﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين﴾ هذا المؤمن رد الوسوسة ولم يأخذ بها وأخذ يناقش القرين الذي كان ينكر يوم القيامة والعذاب والحساب.

هذا هو موقف المؤمن من كل الوساوس يتصدى لها وينكرها وعندها فان الله تبارك وتعالى يؤيد عبده المؤمن بعملهِ هذا باعتقاده الصحيح وتصديه للوساوس، وإن هذا هو الفوز العظيم كما يحث المؤمنين على هذا الاعتقاد والعمل الصالح. يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ﴾ هنا المؤمن سلك الطريق الصحيح.

وفي كتاب الله لقطة بعكس هذا الوضع. إنسان أطاع القرين ونفّذ أوامر الشيطان ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ، أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ، مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ، الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ، قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ، قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ، مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ {ق: ٢٣-٢٩}

﴿وقال قرينه﴾ هو الشيطان قُيّضَ له في قوله تعالى ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ {الزخرف: ٣٦}

﴿هذا ما لديّ عتيد﴾ هذا شيء لديَ وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى: أن ملكاً يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطاناً مقرونا به يقول:

قد اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائي وإضلالي... تفسير الزمخشري.

﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾ أمر الملائكة أن يلقوا في النار كل كفارٍ معاند للحق متكبر.

﴿مناع للخير معتد مريب﴾ منّاع للزكاة وعمل الخير. معتدٍ أي ظالم متكبر مريب الذي لا يؤمن بالله ومريب يرتاب في وجود الخالق شاك وجاحد، ودليل جحوده وكفره ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ أشرك بالله وكفر، فجاء أمر الله للملائكة القياه في جهنم حتى يذوق العذاب الشديد هو وقرينه أي الشيطان. والذي اطاع الشيطان ونفّذ أوامره وطبّقها عمليا، وجاء القرين يعترض ولا ينفع اعتراضه ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾.

أراد القرين أي الشيطان أن يخلص نفسه بهذا الاعتذار وقال أنا ما أطغيته، ويأتي الرد الحاسم من الله العليم: إخرس ايها الرجيم فأنت المخطط وهو المنفذ ﴿قال لا تختصموا لديّ وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾. إن الله عز وجل يقيم يوم القيامة محكمة العدل الإلهية. فالأحكام قطعية ثبوتية لا ظلم فيها، فلا محام ولا محكمة تمييز لأن

الأحكام لم تصدر إلاّ بعد الأدلة الثبوتية. وقد نبه الله تعالى بني آدم بعدم طاعة الشيطان فقال: ﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ {يوسف: ٥}

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ {النور: ٢١}

وقال تعالى: ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ﴾. {فاطر: ٦}

هكذا جاءت الآيات القرآنية متظافرة تنبه الإنسان من وساوس الشيطان وألاعيبه، وأمر المؤمنين أن يتخذوا الشيطان عدواً. ولهذا لم يقبل الخالق العظيم اعتذار القرين عندما قال ما اطغيته فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ لا عذر لأهل الباطل، ويوم القيامة يتبرأ الشيطان من اتباعه الذين اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ثم يلوم أتباعه: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. {إبراهيم: ٢٢}

هكذا يتبرأ الشيطان يوم القيامة من أتباعه لأنهم اشركوه بالله ولم يقل كلمة حق إلا في هذه الآية عندما قضي الأمر. ويستمر الحكم الإلهي: ﴿ما يبدل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد﴾ فما قاله الله تعالى وما وعد به لا يخلفه أبداً. ﴿وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ {الأنبياء: ١٠٤}

ألاعيب الشيطان

الشيطان له من الألاعيب والحيل التي تنطلي على كثير من الناس من الذين لا يعرفون منهج الله تعالى. لذا نرى لزاماً على كل مؤمن أن يعرف ألاعيب الشيطان لأن غايته هي اضلال المؤمنين عن سبيل الله.

في القرآن الكريم آيات تبين لنا ألاعيب الشيطان وخططه. فعلى سبيل المثال. عندما أمر الله تعالى ابليس أن يسجد لآدم، فإذا بالشيطان يأبى ويستكبر ويعصي ويقول: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ عندها غضب الله تعالى على الشيطان: ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ، قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ، قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن

شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ، قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾{الأعراف: ١٣-١٨}

هذه الآيات تبين لنا غضب الله تعالى على إبليس عندما إستكبر ولم ينفذ أمره وجادل بالباطل أمام الحق فذمَّه الله وحقّره ولعنه، لكن الشيطان توعد بني آدم وبخاصة منهم المؤمنين. ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾. أنظر أي طريق اختاره الشيطان ليتربص فيه للمؤمنين ﴿صراطك المستقيم﴾..

وسبب اختياره لهذا الطريق أن الله عز وجل أمر عباده المؤمنين ان يسلكوه: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ﴾{الأنعام: ١٥٣}

إن الله أمر عباده الصالحين باتباع طريقه الذي طرّقه على لسان نبيه محمدﷺ وشرعه ونهايته الجنة وتشعبت منه طرق، فمن سلك الجادَّة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق افضت به إلى النار قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ عن عبد الله بن مسعود قال: خطّ لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال: هذه سبيل الله، ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن يساره ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليها، ثم قرأ هذه الآية

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.(رواه الدّارمي ابو محمد في مسنده باسناد صحيح احمد والترمذي) (تفسير القرطبي)

فالشيطان يتربص بالمؤمنين على الصراط المستقيم الذي أمر الله عباده المتقين أن يسلكوه، فعلى المؤمن ان يعرف ألاعيب الشيطان وحيله، وقد بين الله تعالى في كتابه العزيز كيف يحذر المؤمن من مكائد الشيطان وحيله، فبقدر ما نفقه كتاب الله بقدر ما نعرف ألاعيب وحيل الشيطان ونحذرها، وعند ذلك فإن الشيطان لا يستطيع أن يضلنا عن الطريق المستقيم.

الشيطان والجهات الأربع

يقول الله سبحانه وتعالى محذراً عباده: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ {الأعراف: ٢٧}

وقد بيّن الله تعالى ألاعيب الشيطان في كثير من الآيات القرآنية، وحذر المؤمنين من الوقوع في حبائله، لأن الشيطان لا يبتغي سوى اضلال المؤمنين وإبعادهم عن الصراط المستقيم، والله

عز وجل أعطى المؤمنين حرزاً حصيناً من الشيطان فقال تعالى:
﴿وأما ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أنه هو السميع العليم﴾{فصلت: ٣٦}

وقد أمرنا الله عز وجل وبيّن لنا أن نستعين به سبحانه وتعالى ونتوكل عليه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾. {المؤمنون: ٩٧}

ويستمر التحذير الإلهي من الشيطان الرجيم فيقول عز وجل:
﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ {الاسراء: ٥٣}

لذلك نرى لزاماً على كل مؤمن ان يتسلح عقائدياً تسليحاً قوياً، وأن يكون هذا السلاح ليس من نوع الأسلحة المتداولة والمستخدمة في قتل الإنسان، لأخيه الإنسان بل سلاحاً روحياً. عن عثمان بن ابي العاص الثقفي ؛ انه اتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله (ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ، فقال له رسول الله ﷺ ذاك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً) قال ففعلت فاذهبه الله عني. {رواه مسلم}

نعود إلى توعد الشيطان عباد الله ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾. {الأعراف: ١٦}

أي بالصد عنه وتزيين الباطل حتى يهلكوا كما هلك هو أي الشيطان أو يضلوا كم ضلَ هو. أما الصراط المستقيم فهو الطريق الموصل إلى الجنة ورضوان الله تعالى.

واحسن ما قيل في تأويله ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ﴾{الأعراف: ١٧} أي لأصدنّهم عن الحق وأرغبهم في الدنيا (من بين أيديهم) أي من دنياهم (ومن خلفهم) من آخرتهم (وعن أيمانهم) يعني حسناتهم (وعن شمائلهم) يعني سيئاتهم... (القرطبي وابن كثير)..

وعلى ضوء هذا التفسير نقول: (من بين ايديهم) من دنياهم التي يعيشون فيها، وسأجعل الأمل يلههم حتى يجمعوا الأموال بالباطل والغش، ويسيطروا على أقوات الناس وارزاقهم واغتصاب الأرض وبناء القصور بالمال الحرام، ويرغبهم بكنز الأموال حتى يكونوا من المترفين فيزيغوا عن شرع الله ويصبح الههم هواهم وقد جاء هذا الوصف بقوله تعالى:

﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ، لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ، وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن

دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ، يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ، أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ {النساء ١١٧-١٢١}

وعلى هذا نرى إن الشيطان لا يكف عن الإضلال في الحياة الدنيا، إنه يريد غواية الإنسان ويصده عن دين الله، ولقد أضلّ كثيراً من الأمم السابقة فقال الله عز وجل: ﴿تالله لقد ارسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ {النحل: ٦٣}

وأما ما نراه في معنى (ومن خلفهم) أي عن آخرتهم يوم القيامة، فيجعلهم ينسون الآخرة ويشككهم بها ويكذبوا الرسل ويكذبوا باليوم الآخر يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾{سبأ: ٢٠-٢١}

هكذا يحاول إبليس اللعين أن يشكك الناس السذج الغافلين باليوم الآخر ويكذبوا به ﴿بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾ {الفرقان: ١١}

ولمن يكذب بالساعة ناراً. لأن الإيمان باليوم الآخر من العقائد الأساسية، فالذي ينكرها ويكذب بها يعذب بالنار يوم القيامة:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ {الروم: ١٦}

ويحاول الشيطان ان يشكك بالبعث يوم القيامة، لأنه يعلم جيداً أن مجرد الشك بهذا اليوم يعد كفراً واضحاً حذرت منه الرسل كافة. فيأتي هذا الملعون إلى البعض من النفوس الضعيفة التي تشاطره الغواية، يقول تعالى: ﴿قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

{المؤمنون: ٨٢-٨٣}

هكذا ينكرون اليوم الآخر ويشككون به، فالشياطين ليسوا من الجن وحسب بل ان هناك شياطين الإنس أيضاً. وكل هؤلاء سيحشرهم الله تعالى يوم القيامة أذلاء إلى جهنم وبئس المصير. فيقول عز وجل: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾. {مريم: ٦٨}

وأما ما نراه في تفسير (وعن إيمانهم) أي حسناتهم... بمعنى أن الشيطان يأتي عن طريق الخير للإستدراج حتى يوقع الإنسان في المعصية. لهذا قال الشيطان لآدم وحواء برغم تحذير

الله عز وجل لهما ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ {الأعراف: ٢٠}

هكذا جاء أبوينا من طريق الخير وهو يبغي الشر والعصيان وعدم طاعة الله كي يطردوا من الجنة. ﴿وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين﴾ {الأعراف: ٢١}

أي حلف لهما يميناً إن أكلتم من هذه الشجرة ستكونا ملكين أو تكونا من الخالدين في الجنة بمعنى لا يمسكم الموت ابداً، وقد كذب عليهما.

إن آدم لم يعرف الكذب، كما أنه لم يكن يعتقد أن يحلف أحداً ويقسم بالله كذباً. لذلك صدق الشيطان وأكل من الشجرة ونتيجة لذلك أخرجوا جميعاً من الجنة وجاء العتاب من الله تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ {الأعراف: ٢٢}

إن الإغواء يأتي دائما عن طريق تزيين المعصية على أنها خير، لذلك جاء الشيطان عن طريق الخير والشياطين كثيراً ما تسلك هذا الباب أي باب الخير وهم يبغون به شراً.. ويصف لنا ربنا عز وجل هذه الحالة فيقول: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ، قَالُوا

﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ، قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ، وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ، فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ، فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ، فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ {الصافات: ٢٧-٣٣}

من الآيات القرآنية السابق ذكرها في سورة الصافات يتأكد لنا أي الجهات التي يسهل على الشيطان إضلال العباد منها ﴿قالوا إنكم كنتم تأتونا عن اليمين﴾

بمعنى عن طريق الخير ويبغون بذلك الشر، وهذا من أخطر الطرق على الإنسان، وكثير من الناس ضلّ بهذا الطريق، أي (عن اليمين)... !

أما قوله ﴿وعن شمائلهم﴾ يعني سيئاتهم. إن الشيطان يأتي أيضاً عن طريق تزيين الفواحش وشرب الخمور والعصيان وعدم طاعة الله والكفر، وقد جاء هذا الوصف في القرآن الكريم: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ {الحشر: ١٦-١٧}

ارايت كيف جاء من جهة الشمال وهي الجهة التي أشار إليها إبليس (وعن شمائلهم) أنه يشجع على فعل المنكرات ويزينها للإنسان. يقول تعالى :﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ {المائدة: ٩١}

الله عزوجل يحذرنا من هذه المحرمات لأنها من عمل الشيطان. ورغم هذا التحذير فإن الله عز وجل قد تحدى الشيطان أن يفعل ما يشاء هو وجنوده وإنهم لن يستطيعوا أن يضلوا العباد المخلصين. يقول تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ {الإسراء: ٦٣-٦٥}

ليس للشيطان سبيلاً إلى عباد الله المخلصين الذين أخلصوا دينهم لله عز وجل وفقهوا منهجه القويم، وعلموا طرق الشيطان وألاعيبه، لذلك نرى ان الشيطان لا سبيل له إليهم. يقول تعالى بوصف الشيطان في هذا الباب :﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين﴾. {ص: ٨٢-٨٣}

وقد أستثنى الشيطان من العباد لعدم قدرته على إضلالهم فقال: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾. وقد أكد الرحمن الرحيم، أن الشيطان ليس له سلطان على الأتقياء المخلصين من عباد الله تعالى فقال: ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ {الحجر: ٤٢}

بعد هذه التوضيحات نعود إلى (الجهات الأربع) أو المحاور الأربعة التي اشار إليها الشيطان والتي سيأتي منها ليضل عبلد الله: ﴿من بين أيديهم من خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم﴾ بقيت جهتان لم يشر الشيطان إليهما لأنه لا يستطيع النفاذ منهما وهاتان الجهتان هما ﴿من فوقهما ومن تحتهما﴾. فلماذا لم يشر الشيطان إلى هاتين الجهتين ؟ لأن الجهة الفوقية (الألوهية) والجهة التحتانية (العبودية الخالصة) وقد اشار إليهما الله سبحانه وتعالى على إنهما جهتا خير أو عذاب يختص بها بأمره فيقول عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾. {الأنعام ٦٥}

هذا العذاب للذين يزيغون عن أمره تعالى ويعصونه في حياة الدنيا، وهناك آيات من القرآن الكريم تتحدث بهذا المعنى. ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ {العنكبوت: ٥٥}

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ {المائدة: ٦٦}

حوار بين أهل النار

الحوار قاس بين أهل النار... عتاب.. ملاعنة.. ! فما لهؤلاء الأحبة في الدنيا يتعاتبون ويتلاعنون في جهنم.. ؟ أنظر في جهنم... ! رغم العذاب والحريق الذي هم فيه فأنهم يتلاعنون... ويتعاتبون...! ما لهؤلاء الأحبة في الحياة الدنيا يتخاصمون هنا في جهنم ويدعو أحدهم على الآخر بالويل والثبور وزيادة العذاب ؟ فيا ترى هل نسي الأحباب أحبابهم.. ؟ أم نسي الخل خليله ؟ يا ويلهم جميعا من حريق الله. يصفهم الله بكتابة العزيز فيقول:

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ، وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ {الاعراف ٣٨-٣٩}

أنظر كيف يتلاعنون، وكيف يتمنى كل فريق منهم أن يُعـذب الفريق الآخر أشد العذاب، والفريقان في عذاب واحد وبدرجة واحدة وهم لا يعلمون. ويقول تعـالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾

{فصلت: ٢٩}

ارايت الحقد الذي يحمله بعضـهم لبعـض.. ويكمـل لنـا الله الصورة فيقول:

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ {المؤمن: ٤٧-٤٨}

هنا الخدم يطلبون من اسيادهم أن يحملوا عنهم بعض العـذاب لأنهم كانوا ينفذون أوامرهم بالباطل. فيكون الجواب نحن جميعاً هنا سواء.. نحن وأنتم مشتركون في العذاب لن نغني عنكم شيئا، ولـن تغنوا عنا شيئا، فمصيبتنا أنا أمرناكم في الدنيا، ومصيبتكـم انكم اطعتمونا، والآن نحن معاً أمام الله، وقد حكم الله بيـن العبـاد... ! والحكم واحد..

نحن أمرناكم وأنتم أطعتمونا. إذن لن يغني أحدنا عـن الآخـر نصيبا من العذاب، إنما نحن مشتركون. وتتوضح الصورة أكثر فـي

القرآن الكريم فيقول عز وجل: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ {إبراهيم: ٢١}

لقد كذبوا عليهم عندما قالوا لهم ﴿لو هدانا الله لهديناكم﴾ لأن الله تعالى أنزل القرآن هدى لمن تمسك به و عمل بمقتضاه، لذلك خير الله العباد بين الكفر والإيمان فقال تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾. {الكهف: ٢٩}

كما بين لنا الله عز وجل ان من يهتدي فلنفسه ومن يضل فعليها، وقد خيّر تعالى الإنسان بين الهداية والضلالة فقال: ﴿من أهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ {الإسراء: ١٥}

فالإنسان مخير بين الهداية أو الضلالة، وجزاء المهتدين جنات النعيم خالدين فيها، أما جزاء الضالين فجهنم وبئس المصير. ويوم القيامة سيكون عذر الضالين الجهل، أي يعتذرون بجهلهم بكتاب الله تعالى.

يقول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ، وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ {سبأ: ٣١-٣٣}

هذه الآيات تبين لنا أن الكفار قد أصروا بأن لا يؤمنوا بالقرآن (ولا بالذي بين يديه) أي ما ذكر فيه من اخبار الانبياء والرسل والكتب المنزلة ويوم القيامة، وعند الحساب يبدأ الإتهام ! الظالمون يتهم بعضهم بعضا، فالأتباع يحملوا الأسياد بأنهم وراء كفرهم بالله عز وجل، وأنهم سبب بعدهم عن الهدى، والسادة يتهمون الأتباع بالاجرام، وهكذا الجدال بين الفريقين، وأثناء الجدال الحامي لا يشعر هؤلاء إلا والملائكة تطوق إعناقهم بالسلاسل، وتطوق أيديهم بالقيود، وأنه ليوم لا ينفع فيه الندم.

ويستمر المشهد بالجدال والخصام بين الظالمين واليك المشهد القرآني: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ، وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ، فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ، وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ، قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ، تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ، فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ، فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ {الشعراء:٩١-١٠٢}

الندم يأكلهم وهم يمقتون انفسهم، بل مقتُ الله أكبر من مقتهم انفسهم وهم يقسمون بالله انهم ضالون ويتمنون لو كانوا مؤمنين. وهناك مشاهد قرآنية اخرى تصف وضعا جديدا، اذ يتبرأ المتبوعون من الذين اتبعوهم فيقول تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ، إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ {البقرة: ١٦٦-١٦٨}

هكذا يتبرأ بعضهم من بعض.. ويضيف القرآن الكريم لنا صورة أخرى تبين الأسف والندم الشديد ودعاء بعضهم على بعض وملاعنتهم فيما بينهم. يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا، وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾

{الأحزاب: ٦٦- ٦٨}

هؤلاء يتمنون لو أنهم أطاعوا الرسول كي لا يكونوا في هذا الوضع المؤلم، ليتهم لم يطيعوا الكبراء والسادة، فطاعتهم في الدنيا بما يخالف شرع الله جعلتهم في ضلال مبين. وفي العذاب الشديد يطلبون إلى الله عز وجل ان يذيق الكبراء والسادة ضعفين من العذاب الذي هم فيه مشتركون. وفي جهنم ورغم حريقها وشدة نيرانها وبأس عذابها يتخاصم هؤلاء المجرمين يقول الله عز وجل: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ، قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ، قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ، وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ، أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ، إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ {ص: ٥٩-٦٤}

يقول الله عز وجل لأهل النار هذا فوج مقتحم معكم في نار جهنم، فيقول هؤلاء لا مرحباً بهم، فيجيب المقتحمون الجدد. (وهم أخلاء هؤلاء) بل أنتم لا مرحباً بكم لأنكم السبب في دخولنا هذا الجحيم. تخاصم بين الفريقين وهم أخلاء الدنيا، فأين اصبحت تلك المحبة في الدنيا أين ذلك الحب الذي كان يربطهم في الدنيا ؟ الله تعالى يبين لنا هذا فيقول: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ {الزخرف: ٦٧}

هذا واقع من انحرف عن الطريق القويم الذي أمر الله عباده ان يسلكوه، ولكن العجب من هؤلاء، إنهم يسألون عن رجال كانوا يعدوهم من الأشرار، من هؤلاء الرجال ؟ قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى ﴿ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار﴾. يريدون أصحاب محمد ﷺ : يقول أبو جهل أين بلال ؟ أين صهيب ؟ أين عَّمار ؟ أولئك في الفردوس واعجباً لأبي جهل ! أسلم ابنه عكرمة، وأبنته جويريّة، وأسلمت أمه وأسلم أخوه وكفر هو.

{تفسير القرطبي}

خسارة المستهزئين

يقول الله عز وجل: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ، قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ، إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ، فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ، إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ {المؤمنون: ١٠٦-١١١}

الكفار يستهزؤن بالمؤمنين في الحياة الدنيا، يستهزؤن بهم، ويضحكون عليهم، ويسخرون منهم ويستخفون بهم ويستصغرونهم، لكن الجزاء العظيم كان يوم القيامة، وجزاؤهم هناك بما صبروا جنات عدن هم فيها فائزون.. !

سؤال هنا يطرح نفسه يقول: هل المؤمن يُنسي الكافر ذكر الله ؟ فالآية القرآنية تقول: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾.

إن من شدّة استهزاء الكافر بالمؤمن أنه يعتبره ضال، أي أن المؤمن في نظر الكافر ضال، والضال لا يؤخذ منه شيء، لهذا جاء

قوله تعالى ﴿أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ آية قرآنية توضح هذا المعنى بدقة. يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ، وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ {المطففين: ٢٩-٣٠}

المجرمون في الدنيا يضحكون من المؤمنين ويتغامزون عليهم، وهذا الضحك هو الذي أنساهم ذكر الله عز وجل. كما أنهم وعند عودتهم إلى أهليهم يرجعون فرحين من كثرة الإستهزاء بالمؤمنين وكأنّ لا همَّ لهم في الدنيا غير همّ هؤلاء المؤمنين.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ، وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ {المطففين: ٣١-٣٢}

والكفار كثيرو الإستهزاء بالمؤمنين، ويعدّونهم ضالّين ولذلك لم يأخذو منهم شيئاً من الإيمان، لأن الإيمان في نظر الكافر ضلاله، والإستهزاء يمتد بالكافرين إلى الأنبياء والمرسلين انفسهم عليهم الصلاة والسلام. ومن هؤلاء الكفرة كفرة قريش حيث كانوا يستهزؤن برسول الله ﷺ: يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا، إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ {الفرقان: ٤١-٤٢}

تصوّر انً هؤلاء الكفار يدَّعون ان رسول الله ﷺ كاد يضلّهم عن آلهتهم فما أتعس هؤلاء وما أضلهم من بشر؟

نهاية المطاف

إن الفاصل بين الجنة والنار سور.. نعم سور.. وهذا السور يفصل بين حياة الجحيم في النار، وحياة النعيم في الجنة.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ {الحديد: ١٣}

وهذا السور يسميه القرآن الكريم (الأعراف). قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ {الأعراف: ٤٦}

﴿وبينهما حجاب﴾ أي بين الجنة والنار، وهو السور الذي ذكره الله في سورة الحديد: ﴿فضرب بينهم بسور﴾. ﴿وعلى الأعراف رجال﴾. أي أعراف السور وهي شُرفه ومنه عرف الديك وعرف الفرس. قال عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وابن عباس

والشعبي والضحاك وابن جبير: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.. تفسير القرطبي.

وبعد إستقرار كلا الفريقين، اصحاب الجنة في جناتهم، وأصحاب النار في جهنم يحدث نوع من الحوار بين كلا الفريقين.. يقول تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ {الأعراف: ٥٠}

هذه الآية تبين لنا نداء أهل النار لأهل الجنة والتوسل إليهم بأن يعطوهم بعض الماء او الرزق الذي رزقهم الله إياهم، فيأتيهم الجواب قطعياً ﴿إن الله حرمها على الكافرين﴾. وفي آية أخرى يأتي خطاب وحوار من أهل الجنة مع أهل النار. يقول تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ، فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ الْمُجْرِمِينَ، مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ، حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ {المدثر: ٣٨- ٤٧}

اعتراف صريح بما فعلوه في الحياة الدنيا..! لم يكونوا من المصلين، ولم يطعموا المساكين، وخاضوا مع الخائضين..، وكذبوا بيوم الدين..

فيا لتعس حظّهم... ويا للندامة... وهل تجدي الندامة شـيئاً. الله تبارك وتعالى يسميهم (المجرمين)، فهل من رحمة للمجرميـن.. ؟ وتعقيباً لما ورد في صفات المجرمين التي ذكرتها الآية أعلاه فـإن الله قد حكم عليهم بقوله تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾{المدثر: ٤٨}

الجنـة وسعتهـا

يقول الله عز وجـل: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. {آل عمران: ١٣٣}

وردت كلمة (عرض) في الآية الكريمة، والعرض أسم لبعض القياسات الهندسية كما أن (الطول) أسم آخر لهذه القياسات، وفـي المفهوم الهندسي ان العرض أقل من الطول بمعنى أصغر منه.

في هذه الآية الكريمة يصور لنا الله عز وجل ان للجنة عرضـاً وطولاً، فعرض الجنة هي مـا بيـن الأرض التـي نحـن عليـها والسموات العلى، وهذه المسافة لا نعرف لها قياساً برغم كل العلـم المتطور الذي وصلنا إليه. فإذا كان عرض الجنة هـذا، والعـرض أضيق من الطول، وليس في وسع العلم الإنسـاني تصـور طـول الجنة، فكم سيكون طول الجنة إذن ؟

لا أستطيع أن أعطي وصفاً لسعة الجنة أكثر دقة من تشبيه الجنة بأرقام حسابية، هذه الأرقام تبدأ بالرقم واحد، وليس لها نهاية معروفة، فالجنة مدخل يدخله المؤمنون، أما نهاية هذه الجنة فليست معروفة بالقياسات والحسابات، ونجزم أن الجنة واسعة جداً، لأن حياة الخلود التي يحياها المؤمنون تتطلب سعة لا نستطيع تصورها، وسنتكلم على أدنى منزلة في الجنة قال رسول الله ﷺ: ((***سأل موسى عليه السلام ربه، ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: أدخل الجنة، فيقول أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له: اترضى أن يكون لك مُلك مَلك من ملوك الدنيا ! فيقول: رضيتُ رب فيقول لك ذلك ومثله. ومثله. ومثله. ومثله فيقول في الخامسة رضيتُ رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله: ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيتُ رب. قال: رب فأعلاهم منزلة: قال أولئك الذين أردتَ: غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع إذن ولم يخطر على قلب بشر***))

{رواه مسلم واحمد والترمذي عن المغيرة بن شعبة{

الله أكبر فما أعظمها وما أوسعها، إذا كانت هذه أقل درجة تعطى لعبد وهي مُلك خمسين مَلك من مُلوك الدنيا فما بالك بالدرجات العلى للنبين والصديقين والشهداء والصالحين، يقول الرسول الكريم محمد ﷺ: ((***إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من***

فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين وأرض الجنة من الجوهر والياقوت، وترابُها من الزعفران وطينها من المسك))

{رواه البخاري و مسلم واحمد عن ابي سعيد}

هذه منازل المقربين لا يعلم سعتها إلاّ الله، وما أروع ربوعها الممتدة الفسيحة، وأين تنظر لا ترى إلا جديد لم تره من قبل، وقد جاء وصف شجرة في الجنة لا يمكن للخيال أن يدرك روعتها، يقول الرسول ﷺ: ***((إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها))***. {رواه البخاري ومسلم والترمذي واحمد عن انس وابي سعيد}

إذا كانت الشجرة بهذه السعة، فما سعة منازل المقربين إذا كانت غرفهم كما يرى الرائي الكوكب الدري الغابر في الأفق، الله أعلم كم مليون ميل يبعد هذا المنزل أو تلك المنازل. إن الذي يجعل الجنة غير مملة مع الخلود الأبدي قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ {فصلت: ٣١}

هذا من حيث سعة الجنة، ومن حيث ما يريده العبد الصالح وما يشتهيه، أما من حيث وصفها، فليس لنا إلا ما ذكره القرآن الكريم في وصفها وهو مما يتميز به عن غيره من الكتب السماوية.

فأجمل الوصف لها هو الذي ورد في كتاب الله تعالى، وهناك العشرات بل المئات من الآيات القرآنية التي تصف الجنة وجمالها وما فيها من نعيم مقيم، ما أجمل وأروع المناظر الخلابة التي تأخذ بالألباب، ولا يمكن وصفها، لأنها فوق الخيال وعلى أيكها الأطيار تصدح بالأنغام الشجية والقصور العجيبة التي لا يمكن وصفها وقد جاء ذكرها في حديث عن الرسول ﷺ قال: ***((إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها في السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا))***

{رواه البخاري ومسلم واحمد والدارمي}

فالقصور، والبساتين، والحواري، والغلمان المخلدون، والفاكهة المتنوعة، ولحم الطير والأنهار المختلفة، أنهار اللبن، وأنهار العسل، وأنهار الخمر، كل هذه تعد من نعيم الجنة الذي بشرنا به الرحمن الرحيم في كتابه الكريم.

ولقد أعطانا رسول الله ﷺ خير معنى في وصف نعيم الجنة فقال: ***((فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))*** {رواه احمد ومسلم عن سهل بن سعد}

هذا إضافة إلى كل ما فصله القرآن الكريم وبّينه لنا في العديد من آياته الكريمة..

أسماء الجنة

١- الجنة: وهو الاسم العام المتعارف لتلك الدار، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم والبهجة والسرور وقرة العين، وأصل اشتقاق هذا اللفظ من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره في البطن، والجان لاستتاره عن العيون، والمجن لستر ووقايته الوجه، والمجنون لاستتار عقله وتواريه. وقد تسمى البستان جنة لأنه يستر داخلها الأشجار الكثيفة.

٢- دار السلام: وقد سماها الله عز وجل بهذا الاسم في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾. وهي أحق بهذا الاسم فأنها دار السلام من كل بلية وآفة ومكروه وهي دار الله وأسمه تعالى (السلام) الذي سلمها وسلم أهلها، ﴿وتحيتهم فيها سلام﴾ وقوله تعالى ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم﴾ والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ ويقول تعالى ﴿لا يسمعون لغواً إلا سلاماً﴾.

٣- دار الخلد: وسميت بهذا لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً كما قال تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ وقال ﴿أكلها دائم وظلّها﴾ وقال تعالى ﴿وما هم منها بمخرجين﴾

٤- دار المقامة: قال تعالى حكاية عن أهلها ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾.

٥- جنة المأوى: قال تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾

٦- جنات عدن: قيل هي أسم لجنة من الجنان والصحيح أنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن قال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ وقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾

٧- دار الحيوان: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ يقول المفسرون أن ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ تعني لهي دار الحياة التي لا موت فيها.

٨- **الفردوس:** قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ والفردوس اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، وأصل الفردوس البستان، والفراديس أي البساتين.

٩- **جنات النعيم:** قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ وهذا أيضاً اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والرائحة الطيبة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة، وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

١٠- **المقام الأمين:** قال تعالى: ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾ والمقام موقع الإقامة، والأمين أي الأمن من كل سوء وآفة ومكروه قد جمع صفات الأمن كلها فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص وأهله آمنون فيه من النغص والنكد.

١١- **مقعد صدق:** وقدم الصدق: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ فسمى الجنة

مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال: (مودّة صادقة)... [١]

إن جنات الله كثيرة حسبما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة، فعن أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت رسول الله ﷺ فقالت: ((**يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة. وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب فإن كان في الجنة صبرتُ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن أبنك اصاب الفردوس الأعلى**)).

{رواه البخاري واحمد والترمذي}

دار السلام وطيب المقام

عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما. وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما**)). {رواه البخاري و مسلم و النسائي وابن ماجة}

هاتان الجنّتان تحويان جناتٍ أُخر، أي جنات داخل جنات، بمعنى نعيم في نعيم، وجمال في جمال. عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: ((**الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، وفيها تفجر أنهار**

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن القيم الجوزيّة.

الجنة الأربعة من فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس)) {رواه احمد والترمذي وابن ماجة عن معاذ}

عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ***((ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام))*** {رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب}

هذا هو النعيم المقيم الذي وعد الله عباده المتقين ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ، فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ، مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ {الطور: ١٧-٢٠}

المتقون: صفة لأهل الجنة وأصحابها من عباد الله الصالحين الذين فازوا برضوان الله تعالى في الحياة الدنيا.

فاكهين: أي ذي فاكهة كثيرة، وقرأ الحسن (فكهين) ومعناها معجبين ناعمين في قول أبن عباس وغيره.

يقال فكه الرجل إذا كان طيب النفس مرحاً. ونستطيع القول في معنى (فاكهين) أي فرحين ومستبشرين لأن الآية القرآنية تعطي صورة الفرح لهؤلاء المتقين، فالفرح لازم نفوسهم لأنهم نجوا من عذاب الجحيم، ومن ينجو من العذاب فإنه وبكل تأكيد يكون في غاية الفرح والسرور.

﴿فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ أي فرحين بما آتاهم الله الجنة ونعيمها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فرحين أيضاً بأن الله ربهم وقاهم برحمته من عذاب النار. ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾ والهنيء ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر، إذن كلوا يا أهل الجنة من رزقها وثمرها وأشربوا من مائها وألبانها وعسلها وخمرها، هنيئاً مريئاً جزاء بما عملتم من الصالحات في الحياة الدنيا.

﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ أي متكئين على سرر موصولة بعضها إلى بعض حتى تصير صفاً، ويُقال إن العبد إذا أراد الجلوس عليها تواضعت له فإذا جلس عادت إلى حالها.

﴿وزوجناهم بحور عين﴾ أي قرناهم بهن، فزواج المتقي الصالح يكون بحور عين أي حورية من حواري الجنة، وما أدراك ما حواري الجنة.. ؟

يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُوا هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

{البقرة: ٢٥}

لو تأملنا هذه الآية الكريمة وبشارتها سنجد ان في الجنة نعيم ما بعده نعيم، فالمؤمنون في جنات تجري أسفل منها الأنهار، منظر رائع، بل لوحة رائعة الجمال، أنت جالس والأنهار تحتك تجري جريانا، أين تجلس أنت حتى تجري من تحتك الأنهار، هل تجلس في قصر معلق وأرض القصر من زجاج ؟ وأنت في هذا القصر تأكل من الأثمار المتنوعة فتظن أنها كأثمار الدنيا لحظة النظر إلى شكلها أو حجمها أو نوعها، والحقيقة أنها تشبه ثمار الدنيا من حيث الشكل والاسم، إلا إنها وبكل تأكيد تختلف في الطعم والمذاق عن ثمار الدنيا، وفي هذا القصر الذي تجري من تحته الأنهار، وتنعم فيه بالفاكهة المتنوعة فإن لك فيه زوجة مصاحبة لك تسر نفسك وتزيد الجمال الذي انت فيه جمالاً. !

ولو عدنا مرة أخرى إلى القرآن الكريم سنجد وصفاً آخر. يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ، كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ، يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ {الدخان: ٥١-٥٦}

وصف قرآني غاية في الجمال، فمقام المتقين أمين وآمن من كل خوف، ونستطيع القول إن الخوف وهو حاجة من حاجات النفس الإنسانية في الحياة الدنيا، هذا الشعور يرفع عن المؤمن لحظة

دخوله الجنة، فليس للخوف معنى في الجنة، بل لا وجود لشيء اسمه الخوف في الجنة، ولهذا قال الله عن المؤمنين أنهم في مقام أمين، هؤلاء المتقون في جنات، أي في بساتين وحدائق وغابات كثيفة الأشجار الخضراء التي يميل خضارها إلى السواد من شدة الجمال، بين هذه الأشجار تتفجر عيون الماء وكأنها جداول صغيرة أو شلالات رائعة المنظر تتدفق ليجري ماؤها بين الأشجار والبساتين الرائعة ليزداد المنظر جمالاً في عين المؤمن، ويكون فعلاً في غاية الراحة والسرور النفسي فيتحقق له المقام الأمين الوارد ذكره في الآية الكريمة. أما لباسهم فهو السندس والإستبرق والحرير، وما أظن لباساً أجمل من هذا اللباس الذي أعّده الرحمن الرحيم لعباده المتقين، وهؤلاء يتنعمون بكل هذه النعم وهم يجلسون متقابلين على السرر المصفوفة.

ويستمر العطاء الإلهي، ويستمر الجزاء الأوفى، ومن أوفى من الله عهداً ووعداً..؟

للمتقين زوجات من الحور عين.. والحور جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة، البيضاء شديدة سواد العين، وقيل في الحوراء التي يحار فيها الطرف، كما أن لهم في الجنة كل ما يدّعون من الفاكهة، أطلب تعط، تمنّ تعط أمنيتك.. ! لك في الجنة ما تدعي أيها المؤمن... !

وفوق كل هذا الجزاء الأوفى فإن للمؤمنين حياة الخلود. لا موت في الجنة؟ فالموت أمر انتهى، ولم يعد له معنى أو وجود داخل الجنة وحتى داخل جهنم.. فالموت أمر دنيوي اصاب الله به عباده في الحياة الدنيا لكي يكون الجزاء بعده يوم القيامة، والموت هو نهاية الامتحان، فمن مات فقد أعطى أوراقه الامتحانية، ومن يعط أوراقه فإنما يعطيها لغرض التصحيح، والتصحيح يبقى بيد الله تعالى، إذن الموت هو نهاية حتمية لكل ممتحن، ودار الدنيا دار امتحان، أما الآخرة فليست للامتحان، إنما هي لإعلان النتائج الامتحانية، وحين يبعثنا الله تعالى يوم القيامة فإن المسمى (موت) في الحياة الدنيا أصبح اسماً لا عنواناً ولا قيمة له يوم القيامة، لأن الخلود اصبح بديلاً عنه، فإما خلود في الجنة وإما خلود في النار، لذلك جاء القرآن الكريم يؤكد هذا المعنى فقال الله عز وجل ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ نعود مرة أخرى إلى الجنة ونعيمها ونقف عند حور العين... ! فقد ورد ذكرهنّ بصفات أخرى...

قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ {الرحمن: ٥٦-٥٨}

قاصرات الطرف: أي قصرن طرفهنّ على أزواجهن فقط فلا ينظرن إلى غير أزواجهن. هؤلاء القاصرات الطرف بنات بكر.. لم يَطأهنّ إنسان من قبل ولا جان، إنهن باكرات، إن خلقهن كان

مخصوصاً لأصحاب الجنة، فلو كنّ من نساء الدنيا لما قال الله عنهن ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾

وجاء ذكر قاصرات الطرف في ثلاث مواضع من القرآن الكريم:

الأول: في سورة الرحمن: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾

والثاني: في سورة الصافات: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾

والثالث: في سورة ص: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾

وقد وصف الله تعالى هؤلاء قاصرات الطرف بوصف جميل فقال عز وجل ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ بمعنى حور محبوسات، أي محبوسات على أزواجهن فلا يرون غيرهم وهم في الخيام، إن الله تعالى وصفهنّ بصفات النساء المخدرات المصونات[١].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((***إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر. والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء ولكل أمرئ منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم***)): {رواه البخاري ومسلم واحمد وابن ماجه}

(١) حادي الأرواح، لابن القيم.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ((**الغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده (يعني سوطه) من الجنة خير من الدنيا وما فيها. ولو أطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**)) {رواه البخاري ومسلم واحمد والترمذي وابن ماجة}

وعن زيد ابن أرقم ﷺ قال: جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ: فقال يا ابا القاسم الست تزعم إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وقال لأصحابه إن أقر لي بها خصمته، فقال رسول الله ﷺ: ((**بلى والذي نفسي بيده إن احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع**)) فقال اليهودي فإن الذي يأكل ويشرب يكون له حاجة فقال رسول الله ﷺ: ((**حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد ضمر**)){رواه النسائي في الكبرى باسناد صحيح}

أما طعام أهل الجنة فكثير ومتنوع، وقد جاء ذكره في كتاب الله وسنة رسوله الكريم يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ، وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

{المرسلات:٤١-٤٣}

اسلفنا الحديث عن الظلال والعيون.. أشجار كثيفة وعيون متدفقة بين سيقانها تضيف الجمال إلى الجمال، والفواكه متنوعة

وكثيرة وكل ما يشتهيه المؤمن، فكلوا واشربوا هنيئاً لكم بما عملتم من الصالحات في الحياة الدنيا. ويستمر الكرم الإلهي.. فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ، وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ، يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ، وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾

{الطور: ٢١-٢٤}

الله تبارك وتعالى يجمع العائلة المؤمنة يوم القيامة، يجمعهم في جنة واحدة، فالزوجة الصالحة تلحق بزوجها في الجنة، وكذلك الأولاد والبنات الصالحات يجمعون بالأم والأب في جنة واحدة، يقول تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ {المؤمن: ٨}

واجتماع النسل من الأولاد أو الأحفاد والزوجة سعادة ما بعدها سعادة، والإجتماع بالأخوة المؤمنين في الجنة سعادة أخرى ينعم بها المؤمن فوق سعادته بالأهل والنسل والذرية.ان من فضل الله وكرمه ولطفه بخلقه واحسانه وامتنانه ان المؤمنين اذا اتبعتهم ذرياتهم في الايمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة وان لم يبلغوا عملهم لتقر اعين الاباء بالابناء. وعن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال: *(إن الله*

ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ ﴿والذين آمنوا وأتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾)). ثم قال: وما نقصنا الاباء بما اعطينا البنين.

{أخرجه البزار وابن عدي وأبو نعيم في الحلية، والبغوي في التفسير }

ومن رحمة الله تعالى ان جعل الملائكة حملة العرش العظيم تدعو للمؤمنين فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ {المؤمن: ٧-٨}

دعاء الملائكة حملة العرش والملائكة الذين حول العرش هذا يؤكد ان الله تبارك وتعالى سيدخل المؤمنين وأزواجهم وذرياتهم الصالحة في الجنة، ويجمعهم في درجة واحدة، وجنة واحدة وهذا فضل الله ورحمته بالمؤمنين.

نعود قليلاً لتفسير آيات القرآن من سورة الطور: ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾. هو عام لكل إنسان مرتهن بعمله فلا ينقص أحد من ثواب عمله... تفسير القرطبي.

﴿وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾ أي إن الله تبارك وتعالى يمد المؤمنين بكل أصناف الفاكهة واللحوم الطيبة، والمدد شيء يضاف إلى ما عندك نتيجة نقص أو لتعزيز حالة، فإضافة لما عند المؤمن في جنته يأتيه مدد أخر...

إمدادات أخرى من الفاكهة، وإمدادات أخرى من اللحوم الطيبة، وبما إن المؤمن في نعيم مقيم فلا نقص والحالة هذه في فاكهته أو لحومه ولكن عطاء ربك كثير.. إنه الكرم الإلهي العظيم للمؤمنين... !

ولو أمعنا النظر في طعام الجنة كما ورد في كل الآيات القرآنية لوجدناه من الفاكهة أو اللحوم، وكأن هذه الفاكهة واللحوم هي الطعام السائد في الجنة، ونحن نعلم فائدة الفاكهة واللحوم في الحياة الدنيا، فكيف بفائدتها ولذتها في جنات الله تعالى؟

﴿يتنازعون فيها كأساً﴾ أي يتناولها بعضهم من بعض، المؤمن من زوجته أو زوجاته أو من أصدقائه وإخوانه في الجنة. والكأس هو إناء الخمر أو كل إناء مملوء من شراب وغيره، والكأس هنا

كأس الخمر اليس في الجنة أنهار من خمر؟ ودليل أنه كأس الخمر قوله تعالى: ﴿لا لغو فيها ولا تأثيم﴾. أي ليس بعد شربه لغو فيما بينهم، اضف إلى أنه مباح للشاربين على العكس من كأس الخمر في الدنيا والذي يكون بعد شربه، اللغو إضافة إلى الإثم الكبير لشاربه... !

﴿ويطوف عليهم غلمان لهم﴾. أي يطوفون بالفواكه والتحف والطعام والشراب ودليل هذا قوله تعالى: ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب﴾. {الزخرف:٧١} ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾. {الصافات:٤٥}

﴿ويطوف عليهم﴾ أي يراجعهم دون نداء أو استدعاء، ﴿غلمان لهم﴾ قيل هم الأطفال من أولادهم الذين سبقوهم، وقيل هم غلمان خُلقوا في الجنة ليكونوا خداماً للمؤمنين، وواجبهم الطواف بالصحاف الذهبية أو الكؤوس من الخمر اللذيذ ومن دون استدعاء المؤمن لهم لأنهم في حركة مستمرة لأداء واجبهم الذي فطرهم الله عليه، ﴿كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ أي في الحسن والبياض، والمكنون أي المصون... القرطبي...!

قال ابن كثير في تفسيره: يطوف على اهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة ﴿مخلدون﴾ أي على حالة واحدة مخلدون

عليها لايتغيرون عنها لاتزيد اعمارهم عن تلك السن , ومن فسوهم بانهم مخرصون في آذانهم الاقرطة، لان الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير، اذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم فذلك منتهى الجمال ...

يقول تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ {الزخرف: ٧١}

هذه الغلمان تطوف على المؤمنين بصحاف من ذهب وأكواب من ذهب، وفي الجنة ما تشتهي النفس من مأكل ومشرب وملبس وما تلذ العين من ظلال وارفة وبساتين وأنهار وشلالات ليس لها مثيل، وكل شيء يسرّ العين ويضفي على الجمال جمالاً... !

ترى ماذا تحمل الغلمان في أكوابها...؟ بكل تأكيد تحمل الشراب، ويا ترى من أين للغلمان الشراب وملئ الأكواب...؟ يجيب عن هذه التساؤلات كتاب الله تعالى فيقول عز وجل: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ {محمد: ١٥}

إذن الأكواب تملأ بالماء الطهور غير الآسن، وتملأ باللبن الخالص غير اللبن في الحياة الدنيا الذي يتغير طعمه إن ترك لفترة زمنية، وتملأ بالخمر اللذيذ غير خمر الدنيا الذي يكون وراءه اللغو وفقدان العقل، وتملأ بالعسل الشهد المصفى غير العسل في الحياة الدنيا الذي ينتج عن خلايا النحل ومعه الشمع أو بعض شوائب النحل..!

هذه الأكواب التي يحملها الغلمان تكون مليئة بما تحتوي أنهار الجنة الأربعة إضافة إلى شراب بعض عيون الجنة كما يحكيها لنا القرآن الكريم. لقوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾. {الذاريات ١٥}

ويقول عز وجل: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا، عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ {الدهر: ١٧-١٨}

هنا ورد ذكرٌ لاسم العين من تلك العيون في الجنة وهي عين السلسبيل.

ويقول عز وجل: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ، خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ، وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾

{المطففين: ٢٥-٢٩}

وهنا ذكر لاسم عين أخرى هي عين التسنيم... التي يخرج ماؤها مع الرحيق المختوم. عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((**_الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج_**)). {رواه الترمذي وقال حديث صحيح واحمد وابن ماجة..}

هذا ما وفقنا الله إليه في وصف الجنة من ثمار وأنهار وعيون ووصف الغلمان والأكواب والأشجار والطعام والحور العين وسعة الجنة.

ولكن سعة رحمة الله اكبر واعظم، وكرمه ما بعده كرم. عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: ((**_ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد اعطيتنا ما لم تعطِ احداً من خلقك فيقول ألا اعطيكم افضل من ذلك ؟ فيقولون واي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابداً_**)) {رواه البخاري ومسلم والترمذي}

بختام الحديث عن الجنة وأطيابها وملذاتها وحورها وأشجارها وأنهارها وغلمانها، برغم كل هذه المباهج النفسية للمؤمنين هناك البهجة القصوى، اقصى ما تتبهج له نفس المؤمن، الا وهي النظر إلى وجه الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى، عن أبي سعيد الخدري قال: ((**_إن أناساً في زمن الرسول ﷺ: قالوا يا رسول الله هل نرى_**

ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ: نعم. قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس معه سحاب ؟ قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما)) {رواه البخاري ومسلم واحمد}

وعن صهيب عن النبي ﷺ قال: ***((إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا. ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل))***. وفي رواية تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

{رواه مسلم والترمذي}

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: ***﴿أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر قلب بشر﴾***

{رواه الشيخان واحمد والترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة}

حقاً إن الله تبارك وتعالى قد أعد لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وإذا جمعنا ما وصفه الله تعالى لعباده يوم القيامة من النعيم المقيم، وإذا نظرنا إلى ما وصفه الرسول محمد ﷺ وما أعده الله للمؤمنين في الجنة لرأينا العجب.... وإنه كرم الرحمن الرحيم.. وإنه الجزاء الأوفى، فيا لبشراكم أيها المؤمنون، يا لبشراكم. !

(إن داراً غرسها الله بيده وجعلها مقراً لأحبابه وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه ووصف نعيمها بالفوز العظيم وأودعها جميع الخير بحذافيره وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فان سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران وان سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وان سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر وأن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر، وان سألت عن بنائها فلبنه من الفضة ولبنه من ذهب، وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلاّ ألين من الزبد وأحلى من العسل، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفّى، وإن سألت عن طعامهم ﴿وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون﴾، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية من الذهب والفضة في صفاء القوارير وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة اربعين من الأعوام، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام، وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درّة مجوفة طولها ستون ميلاً من تلك الخيام، وإن سألت عن علاليها فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار. وأن سألت عن ارتفاعها فأنظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار، وان سألت عن لباس

أهلها فهو الحرير المطرز بالذهب، وإن سألت عن فرشهم فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب، وان سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر عند الكمال، وإن سألت عن أعمارهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي الأجيال، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين، وأعلى منه أصوات الملائكة والنبيين بالتسبيح، وأعلى منهما خطاب رب العالمين، وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب ان شاء الله مما شاء تسير بهم حيث شاؤا من الجنان، وإن سألت عن حليهم وشاراتهم فأساور الذهب واللؤلؤ وعلى رؤوسهم التيجان، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون، وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهنّ الكواعب الأتراب لم يطمثهن قبلهم أنس ولا جان قد قصر طرفها على زوجها فلا تطمح لأحد سواه، وقصر طرفه عليها فهي غاية امنيته وهواه، وإن نظر إليها سرّته وإن أمرها بطاعته أطاعته وإن غاب عنها حفظته وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤا منظوما ومنشوراً، وإذا طلعت وبانت ملأت القصر والغرف نوراً، وإن سألت عن يوم المزيد وزيادة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد. فاستمع يوم ينادي المنادي يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيدكم فحّي

على زيارته فيقولون سمعاً وطاعة وينهضون إلى الزيادة مبـــادرين فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين حتـــى إذا أنتهوا إلى الوادي الافيح الذي جعل لهم موعداً وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحد، ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر مــــن لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب وجلسوا حتى إذا اســـتقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادي يا أهل الجنّـــة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو؟ الم يبيـــض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ فبينمـــا هم كذلك إذ سطع لهم نور اشرقت له الجنة فرفعوا رؤوســـهم فـــإذا الجبار جلّ جلاله. وتقدست اسماؤه قد أشرف عليهمْ من فوقهم، وقال يا أهل الجنة سلام عليكم.

فيقولوا اللهّم أنت السلام ومنك السلام تباركت يــــا ذا الجـــلال والإكرام. إن أول ما يسمعون منه تعالى أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحـــدة أن قد رضينا فأرضى عنّا، فيقول يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكـــم لم اسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فاسألوني فيجتمعون علــــى كلمـــة واحدة أرنا وجهك الكريم ننظر إليه فيكشف لهم الرب جـــلّ جلالـــه الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره، لـــولا إن الله قضـــى أن لا يحترقوا لاحترقوا فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيـــون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة.

ويا ذلّة الراجعين بالصفقة الخاسرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ، تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾.. [1]

وأسأل الله تعالى إن ينفع بهذه الرسالة كل من قرأها وأسأله تعالى ان يتقبل منا هذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثيب ويجزي كل من أعانني على إنجاز هذه الرسالة. وفي الختام لا نقول الاّ ما قاله ربنا العليم العلاّم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {يونس: ٩-١٠}

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن القيم / بتصرف

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. تفسير الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله الأنصاري القرطبي: ت٦٧١ هـ.
٣. جامع البيان في تفسير القران للامام ابي جعفر بن جرير الطبري: ت٣١٠هـ.
٤. تفسير القران العظيم ـ اسماعيل بن كثير القرشي: ت ٧٧٤ هـ.
٥. تفسير الكشاف: للإمام جاد الله محمود بن عمر الزمخشري:ت٥٢٨هـ.
٦. تفسير البغوي.
٧. صحيح البخاري:للإمام محمد بن إسماعيل البخاري١٩٤-٢٥٦ هـ.
٨. صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج ٢٠٦-٢٦١ هـ.
٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٦٤-٢٤١ هـ.
١٠. مسند البزار.
١١. سنن الترمذي:محمد بن عيسى بن سورة الترمذي٢٠٠-٢٧٩ هـ.
١٢. سنن ابي داؤد: ٢٠٢-٢٧٥ هـ.
١٣. سنن النسائي: ٢١٥-٣٠٣ هـ.
١٤. سنن الدار قطني.
١٥. سنن بن ماجة.
١٦. سنن الدارمي.
١٧. الحليه لأبي نعيم.
١٨. الكبير للطبراني.
١٩. مستدرك الحاكم.
٢٠. صحيح الجامع لناصر الدين.
٢١. حادي الارواح الى بلاد الافراح لابن قيم الجوزية: ت٧٥١هـ
٢٢. شعب الإيمان للبيهقي.
٢٣. الأنفجار الكبير: لأميد شمشك.
٢٤. المجرات والكوزرات. لوليا . ج. كاوفمان.

الفهرس